القمص بطرس السرياني

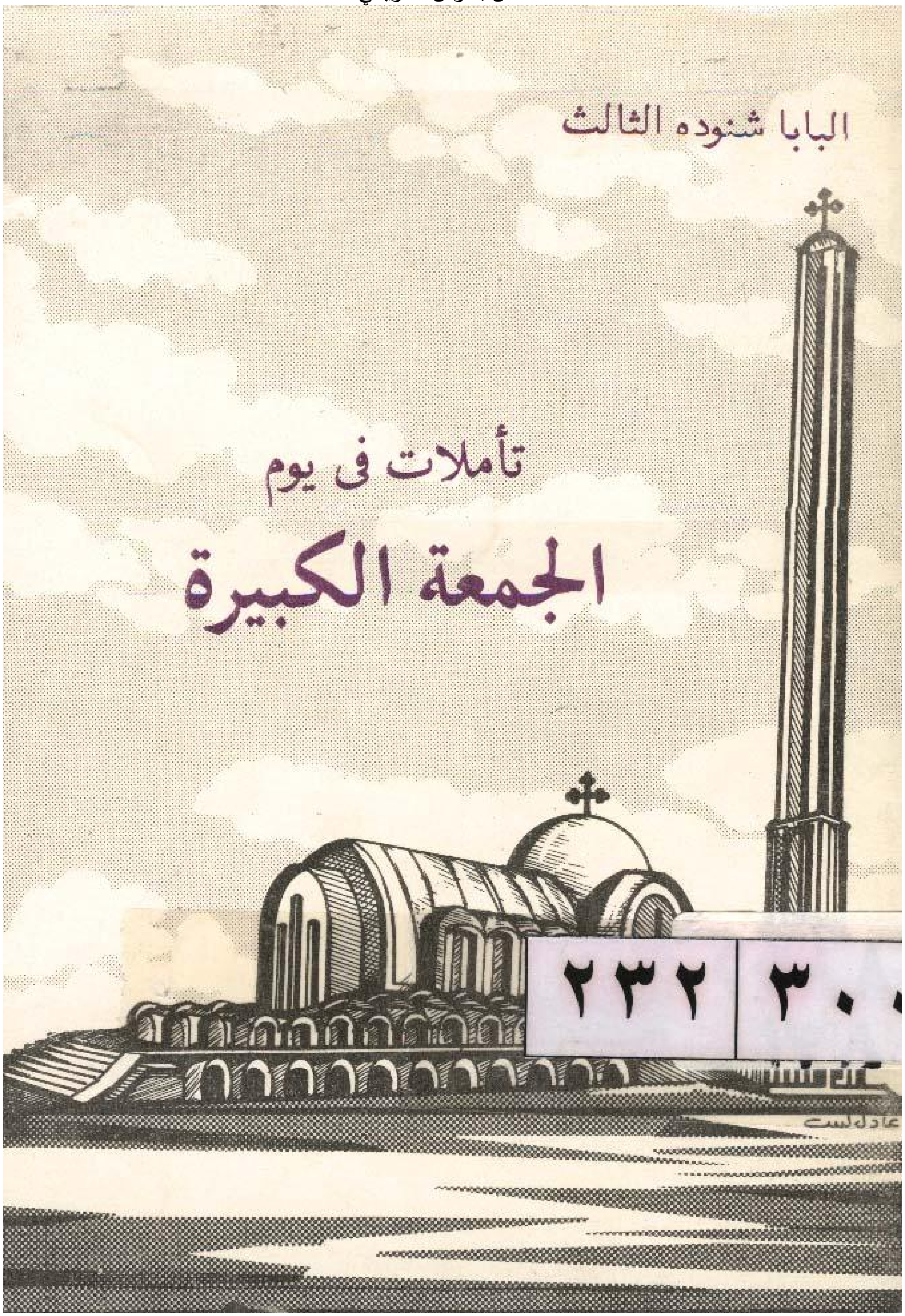

القمص بطرس السرياني

البابا شنوده الثالث

تأمـــلات فى
الجمعـــة الكبـــيرة

Contemplations On
The Good Friday
by H.H. Pope Shenouda III

1 st Print
April 1982

الطبعة الأولى
إبريل ١٩٨٢

القمص بطرس السرياني

قداسة البابا شنوده الثالث

مقدمـــة

من المفروض أن يكون كل يوم فى حياتنا مقدساً للرب . ومع ذلك فإن أيام الصوم هى أيام أكثر قدسية .

وإن كانت أيام الصوم عموماً هى أيام مقدسة ، فلا شك أن الصوم الكبير هو أكثر قدسية من جميع الأصوام .

وإن كان الصوم الكبير ، هو أكثر الأصوام قدسيـة ، فإن أسبوع الآلام ، هو أقدس أيام الصوم الكبير.

ولا شك أن يوم الجمعة الكبيرة هو أقدس يوم فى أسبوع الآلام كله . وهكذا يكون أقدس أيام السنة ، وأكثرها عمقاً وروحانية وتأثيراً فى نفس الناس .

وقد اخترنا لك أيها القارىء المحبوب ، بعض محاضرات وكلمات ألقيت فى أيام الجمعة الكبيرة فى الكاتدرائية الكبرى ، مع عظة ألقيناها بكنيسة العذراء بجاردن ستى ، وذلك كمجرد باكورة لكتاب كبير عن أسبوع الآلام .

وليعطك الرب بركة هذه الأيام المقدسة ،،،

شنوده الثالث

فهرست

صفحة

مقدمة ٥

فهرست ٦

- المسيح ذبيحة حب و بذل ٧
- كان الآب قد أعد مذبح المحرقة ١٩
- إنكار بطرس ، وضعف الطبيعة البشرية ٢٩
- نفوس مضيئة في يوم مظلم ٤٥
- من أخان باراباس ٦٧
- المسيح ملكاً ٦٩
- حول آلام المسيح ٧٤

القمص بطرس السرياني

فى يوم الجمعة العظيمة ، نرى السيد المسيح فى قمة حبه ، وفى قمة بذله ...

إن المحبة تبلغ عمق أعماقها ، أو ترتفع إلى أعلى قممها ... حينما تصعد على الصليب .

المحبة تُختبر بالألم . نختبرها بالضيقة ، ونختبرها بالعطاء والبذل .

الذى لا يستطيع أن يبذل ، هو إنسان لا يحب ، أو هو إنسان محبته ناقصة ، أو هو يفضل ذاته على غيره ... أما إن أحب ، فإنه يبذل ...

وكلما يزداد حبه ، يزداد بذله ، حتى يبذل كل شيء ...
فإن وصل إلى كمال الحب ، وإلى كمال البذل ، فإنه يبذل ذاته ... يصعد على الصليب ، ويقدم ذاته عمن يحبهم .

وهذا هو الدرس الذى أخذناه يوم الجمعة الكبيرة . « هكذا أحب الله العالم إبنه الوحيد » (يو٣ : ١٦) .

لقد اظهر الله محبته للعالم بأنواع وطرق شتى : أعطى العالم نعمة الوجود ، وأعطاه المعرفة ، وكل أنواع الخيرات . بل أعطاه أيضاً المواهب الروحية . وتولى هذا العالم بعنايته ورعايته وحبه .

ولكن محبته لنا ، ظهرت فى أسمى صورها ، حينما بذل ذاته عنا ، لكى تكون لنا الحياة الأبدية .

ولقد جاء السيد المسيح إلى العالم ، لكي يبذل ... لكي يبذل نفسه فدية عنا . وفي ذلك قال لتلاميذه :

« إن إبن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مر ١٠ : ٤٥) .

وأول شيء بذله الرب ، هو أنه أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد (في ٢ : ٧) . بذل مجده وسماءه وعظمته ، حينما تجسد من أجلنا ، وأخذ شكل العبد ، وصار في الهيئة كإنسان ...

ثم بذل راحته أيضاً . وطاف يجول في الأرض يصنع خيراً ، وهو ليس له مكان يسند فيه رأسه . (مت ٨ : ٢٠) .

وأخيراً بذل حياته عنا ، على الصليب ...

وبهذا البذل ، عبر عن حبه اللانهائي ... لنا .

وهكذا صارت صورة يسوع المسيح المصلوب ، هي أجمل الصور أمام البشرية كلها . إنها صورة الحب الباذل ، في أعماق بذله ...

إن صورة التجلي على جبل طابور ، ربما لا تجدها في كل مكان . كذلك أيضاً لا تجد في كل مكان صورة المسيح وهو داخل كملك إلى أورشليم ... ولكنك في كل مكان تجد صورة المسيح المصلوب ... لأنها أثمن صورة ، وأعمق الصور تأثيراً في النفس .

أمامها وقف المهاتما غاندي ، وبكى ...

إنها صورة الحب الكامل ، والعطاء الكامل . لأنه « ليس حب أعظم

من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » (يو١٥ : ١٣) .
ولهذا قال القديس بولس الرسول :
« حاشا لى أن أفتخر ، إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح » (غل٦ : ١٤) .

وكلما ننظر إلى صورة الصليب ، نتذكر الحب الإلهى العجيب ... نتذكر إلهنا القوى غير المحدود فى قدرته وعظمته ، وقد بذل سماءه ، وأخلى ذاته ، وأخذ صورة عبد ، وبذل حياته ، وبذل دمه ، حباً للإنسان المحكوم عليه بالموت ...

إن أجمل عبارة تكتب على صورة المسيح المصلوب ، هى عبارة «أحب حتى بذل ذاته » ...

لقد كتبوا لافتة على صليب السيد المسيح ، مكتوب عليها « يسوع الناصرى ملك اليهود » I N R I ولكن أجمل لافتة نكتبها على صليبه هى « الحب والبذل » ... هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد ...

والعظة التى نأخذها من صلب ربنا يسوع المسيح ، هى أن نحب ، وأن نبذل ... لا نحب ذاتنا ، إنما نحب الناس ، ونحب الله ... لا نحب راحتنا ، إنما نحب راحة الناس ، مهما كانت على حساب راحتنا .

إن كنت لا تحب ولا تبذل ، فأنت لم تستفد من صليب المسيح درساً ، ولا استفدت من صليبه قدوة لحياتك ...

إن صليب السيد المسيح ، يعلمنا أن نحب حتى الموت ...

القمص بطرس السرياني

-

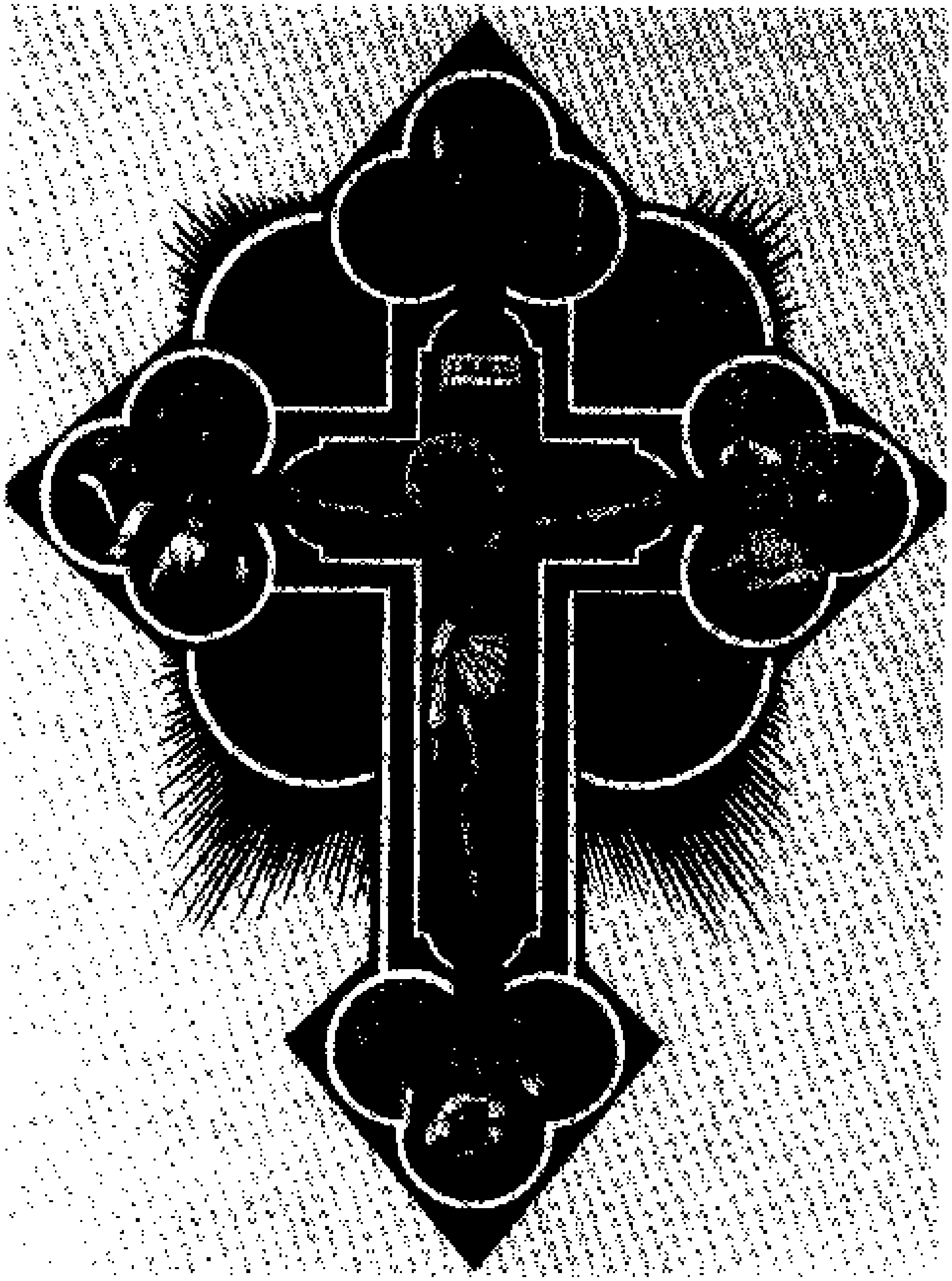

فى حبنا لله نفعل هذا . وفى حبنا للناس نفعل هذا

« لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١يو٣ : ١٨) .

وما هو هذا التعبير العملى للحب ؟ إنه العطاء والبذل ، حتى الموت .

نحب المحبة التى تصعد على الصليب ، المحبة التى تصل إلى الموت من أجل من نحبه ، أو على الأقل تكون مستعدة قلبياً أن تصل إلى الموت وأن تبذل ذاتها .

أنظروا فى التوبة وفى مقاومة الخطية ، كيف أن الرسول يعاتب أهل العبرانيين و يقول : « لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب١٢ : ٤) .

أتريد أن تحب الله ؟ ينبغى إذن أن تحبه حتى الدم ...

تقاوم الخطية حتى الدم . تصعد على الصليب . تصلب ذاتك . «تصلب الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل٥ : ٢٤) تصلب العالم داخل قلبك ، فلا يتحرك فى داخلك . وتصلب ذاتك ، فلا تتحرك هذه الذات طالبة أن تظهر . هنا يبلغ الحب غايته . وهنا تفتخر عملياً بصليب ربنا يسوع المسيح ، وتقول عنه « هذا الذى به قد صلب العالم لى ، وأنا للعالم » (غل٦ : ٤) .

نتعلم من صليب السيد المسيح ، أن نحب وأن نبذل . ولا يمكن أن نحب وأن نبذل إلاّ إذا أنكرنا ذواتنا .

إن السيد المسيح ، قبل أن يبذل ذاته ، أخلى ذاته أولاً وأخذ شكل العبد ...

إذن ، إذا أحببت ، وأردت أن تبذل ، عليك أن تخلى ذاتك أولاً من كل محبتك لنفسك وشعور بذاتك ... أى أن تتواضع ، وتأخذ شكل العبد ، وحينئذ يمكنك أن تبذل ...

وثق أن البذل هو التعبير الحقيق عن الحب :

أبونا إبراهيم أبو الآباء ، ظهرت محبته لله بالبذل . فبدأ أولاً بأن ترك - **من أجل الله - أهله وعشيرته ووطنه** وبيت أبيه ، وجال وراء الله متغرباً **يعيش فى خيمة . ومع ذلك فإن** حب إبراهيم لله ، لم يظهر فى قمته إلاَّ حينما **وضع إبنه الوحيد على المذبح** ، مع الحطب ، وأمسك بالنار و بالسكين ، **لكيا يقدمه محرقة لله ...**

هناك عوائق قد تحاول أن تمنع الإنسان من البذل :

مثال ذلك : محبة الراحة ، ومحبة الكرامة ، ومحبة الذات ...

أما الحب الحقيق ، فلا يعرف لذاته راحة ولا كرامة إلاَّ فى تحقيق محبته . وهكذا يبذل كل شيء لأجل من يحب .

يعقوب أبو الآباء ، عندما أحب راحيل ، بذل من أجلها الشيء الكثير... تعب من أجلها عشر ين سنة ، تحرقه الشمس بالنهار ، والبرد بالليل ... وكانت هذه السنوات فى نظره كأيام قليلة من أجل محبته لها . (تك ٣١ : ٤٠) ، (تك ٢٩ : ٢٠) .

إن المحبة تستطيع أن تعمل الأعاجيب .

المحبة تحتمل كل شيء ، وتبذل كل شيء .

إن كنت لا تستطيع أن تبذل ، فأنت إذن تحب ذاتك ، ولست تحب غيرك ...

وإن عاقتك الكرامة عن البذل ، فأنت إذن تحب الكرامة أكثر. وهكذا أيضاً إن عاقتك محبة الحياة ، أو محبة الحرية ...

حينما أحب دانيال الرب ، لم يجد مانعاً من أن يُلقى فى جب الأسود الجائعة ، ولم يمنعه الخوف ، ولم ير حياته أغلى من الحب .

كان الحب فى قلب دانيال ، أقوى من الخوف ، وأغلى من الحياة .

والثلاثة فتية بالمثل ، فى محبتهم لله ، لم يجدوا مانعاً من أن يُلقوا فى أتون النار . أستهانوا بالنار و بالموت و بالحياة ، لأجل الله .

والقديس بولس الرسول ، قال فى التعبير عن محبته للمسيح : « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح » و« ما كان لى ربحاً ، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة ، بل إنى أحسب كل شىء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة يسوع المسيح ربى » (فى ٣ : ٦-٨) .

وهنا نجد البذل ، بكل رضى ، بغير ندم على شىء ...
بل بكل زهد فى ما يبذله ، كأنه نفاية وخسارة ...

إن صليب المسيح ، يعلمنا بذل الذات فى حب ...

ولكن بذل الذات قد يحتاج إلى تداريب أخرى تسبقه . فقد يتدرب الإنسان الروحي على أن يبذل أولاً من خارج ذاته ، من ماله وعطاياه مثلاً ، قبل أن يبذل ذاته .

وحقاً إن الذي لا يستطيع أن يبذل ما هو خارج ذاته ، كيف يمكنه إذن أن يبذل ذاته ؟

إن كنت لا تستطيع أن تعطي مالك للرب ، أو عشورك و بكورك ، نكيف يمكنك أن تعطيه عمرك وحياتك ؟! كيف يمكنك أن تعطيه دمك ؟! كيف... ؟! وإن كنت لا تستطيع أن تعطي الرب يوماً في الأسبوع ، فكيف يمكنك أن تعطية الحياة كلها ؟!

في عصر الاستشهاد ، لكي تدرب الكنيسة أولادها على حب الموت ولقائه ، دربتهم أولاً على الزهد في الماديات ، وترك الاملاك والمقتنيات ، وترك الأهل والبيت ، فكان « الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه ، والذين يشترون كأنهم لا يملكون ، والذين لهم نساء كأن ليس لهم » (١ كو٧ : ٢٩-٣١) لكي يثق الكل بأن « هيئة العالم تزول » وتضع الكنيسة في آذان أولادها في كل قداس قول الرسول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم ... فالعالم يمضي وشهوته معه » (١ يو٢ : ١٥، ١٧) .

إن الذي يزهد في العالم وما فيه ، يستطيع أن يبذل الحياة من أجل الله . الذي يقول « مملكتي ليست من هذا العالم » مشتهياً أن يملك مع

المسيح فى الأبدية ، هذا يستطيع أن يبذل ذاته من أجل اخوته ومن أجل الرب .

أما الذى لا يستطيع أن يبذل القليل ، فكيف يمكنه أن يبذل الكثير؟! وكيف يستطيع أن يبذل الكل ؟!

كيف يتمثل بالسيد المسيح الذى بذل الكل ... الذى بذل المجد ، وبذل الراحة ، وعاش بلا لقب ولا مركز رسمى ، و بلا مال و بلا مرتب ... ثم بذل دمه عن حياة العالم كله ، لكى نحيا نحن بموته ، ونحيا بمحبته لنا ...

كان السيد المسيح يعطى باستمرار قبل إعطاء ذاته على الصليب

كانت محبته تجول وسط الناس تعطيهم حناناً وحباً وشفقة . كانت تعطى البعض شفاء ، والبعض عزاء والبعض طعاماً . كانت تنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق ، وتعمل كل حين لأجل راحة الكل . ولكن كل هذا لم يكن يكفى ...

كان يُنتظر من المحبة أن تعطى ذاتها ، أن تصعد على الصليب ، وتنضح بدمها على البشرية ، من قمة الفداء العالية .

وسار السيد المسيح إلى الجلجثة ، ليقدم ذاته ذبيحة حب . كان يمثل المحبة متجسدة ، والمحبة باذلة .

وتعجب الشيطان من هذا الحب ، وثار عليه بكل قوته . وجمع كل قواته ليمنع محبة الرب من أن تصل إلى قمتها على الصليب ، بكل حيلة ، و بكل عنف ...

وإذا بمياه كثيرة أحاطت بهذه المحبة التي تتقد ناراً ...

مياه كثيرة ... كالاستهزاء ، والإهانة ، والتهكم ، والتحدى بتلك العبارة الماكرة المتحفزه « لو كنت إبن الله ، إنزل من على الصليب » أو بنفس المعنى « خلص آخرين ، أما نفسه فلم يستطع أن يخلصها » ...

ولكن محبة ربنا لنا ، كانت أقوى من محاولات الاستفزاز

وإنتصر الرب فى المعركة . صمد أمام كل هذا التحدى والتهكم ، لكيما يخلصنا من حكم الموت ، واضعاً أمامه هدفه الذى جاء من أجله ، أن يموت عنا لكى نحيا بموته .

وهكذا ظلت محبته تصعد إلى قمها ، إلى الصليب والألم والعذاب ، وتدوس فى طريقها كل عقبة ، إلى أن وصلت إلى أعلى قمة لها وهى الفداء ، فتكللت بمجد عجيب لا يوصف ...

وصار الصليب رمزاً للحب ، وبالتالى للفداء والعطاء .

فعلى الصليب أعطى السيد المسيح للعالم كله وثيقة العتق ، وقدم له فداء كاملاً ، وتكفيراً عن خطاياه ...

وعلى الصليب أعطى اللص اليمين وعداً بأن يكون معه فى الفردوس ، وأعطى لصالبيه - إن تابوا - غفراناً وتنازلاً عن حقه تجاه ظلمهم . وعلى الصليب أعطى يوحنا الحبيب أماً روحية هى العذراء مريم . وأعطى السيدة العذراء إبناً هو يوحنا ...

وعلى الرغم من آلام الرب على الصليب ، كانت أفكاره ليست

مركزه فى آلامه وفى ذاته ، إنما فى خلاص الناس وتقديم ثمن العدل الإلهى للآب .

وصارت أبصارنا معلقة فى هذا الصليب وعطائه :

الصليب الذى يعطى غفراناً وخلاصاً ، وحياة ، ورجاء أكيداً فى الأبدية السعيدة ...

الصليب الذى يعطى صورة مثالية للعطاء وللبذل ، ولنكران الذات واخلائها ... بلا حدود ...

الصليب الذى أعطانا صورة لمن يعطى وهو فى عمق آلام الجسد ، ولكن فى عمق محبة الروح ... و يعطى إلى آخر قطرة تسفك من جسده ، فى الوقت الذى لا يقدم فيه العالم أى عطاء فى مقابل عطائه ... إلاَّ دموع عزيزة كانت تسكبها قلوب محبة . وكانت لها قيمتها عند الرب ...

فليعطنا الرب بركة صليبه ، وليعطنا أن نتدرب على الحب والبذل ، وأن نحب الإعطاء أكثر من الأخذ . وليعطنا أن ننمو فى هذا العطاء ، ونظل ننمو حتى نعطى أرواحنا لأجله له القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .

القمص بطرس السرياني

كان الآب قد أعدَّ مذبح المحرقة

في هذا اليوم ، تحتفل الكنيسة المقدسة بتقديم السيد المسيح ذبيحة عنا . وهنا نود أن نشرح ما هو المقصود بكلمة ذبيحة ، في بعض تفاصيلها ...

منذ أن بشر الله أبانا آدم بالخلاص ، في قوله إن « نسل المرأة يسحق رأس الحية » (تك٣: ١٥) ، علمه من ذلك الحين أن يقدم ذبائح ، و يسلم هذا لنسله :

وتعلم آدم بهذا أول درس في الفداء .

لقد أخطأ فتعرى ، ولم تصلح لستره أوراق التين . فصنع له الله قيصاً من جلد ، لعله جلد ذبيحة ، وستره به .

فعرف أن الخطية معها العرى ، والذبيحة معها الستر .

وكان هذا هو الدرس الأول . وتوالت الذبائح من حيوانات طاهرة .

نفس طاهرة لم تخطىء ، تموت عن نفس بشرية أخطأت .

وقرأنا عن محرقة هابيل الصديق (تك ٤) قدمها « من أبكار غنمه ومن سمانها » . من أين عرف هابيل أن يقدم ذبيحة محرقة للرب ؟ لعله عرف هذا بالتقليد ، تسليماً من أبيه آدم ، الذى تسلم هذا الأمر من الله .

وعبرت فكرة الذبيحة ، أو عقيدة الذبيحة إلى جميع الأجيال . وقرأنا عن محرقات أبينا نوح (تك٨) من الحيوانات الطاهرة . إنه نفس الدرس « نفس طاهرة تموت عن نفس مخطئة . وكان هذا هو الدرس الثاني .

وهكذا قرأنا عن محرقات قدمها أيوب الصديق عن أولاده قائلاً « ربما أخطأ بنيّ وجدفوا فى قلوبهم على الله » (أى ١ : ٥) « وهكذا كان أيوب يفعل كل الأيام » من أجل مغفرة خطايا أولاده ...

ومن سفك دم هذه الذبائح والمحرقات ، ظهر الدرس الثالث وهو:

« أجرة الخطية موت » (رو ٦ : ٢٣) للخاطىء أو نفس عوضاً عنه .

وجاء موسى النبي ليشرح بالتفصيل المحرقات والذبائح التى تقدم عن الخطايا . وكانت كل منها ترمز إلى ذبيحة السيد المسيح من زاو ية معينة . فلنأخذ إذن فكرة عنها ، لنعرف ما الذى قدمه المسيح عنا فى هذا اليوم ، يوم الفداء العظيم .

نحن نعلم أن الإنسان قد أخطأ . وكانت خطيئته ضد الله ذاته . يكفى أنها عصيان لله وتمرد عليه ، كما أنها إنفصال عن الله وعدم محبة له .

وخطيئة الإنسان كانت لها نتيجتان : أولاً إغضاب الله ، وثانياً هلاك الإنسان . وجاء السيد المسيح ليعالج الأمر ين معاً .

١ ـ يصالح الله الآب ، و يتحمل غضبه ، و يدفع له ثمن الخطية .

٢ ـ يخلص الإنسان المحكوم عليه بالموت ، بأن يموت بدلاً منه .

أما ارضاء قلب الله ، فكانت ترمز إليه ذبيحة المحرقة .

لذلك وضعت فى مقدمة الذبائح كلها ، فى الأصحاح الأول من سفر اللاو يين . وقيل عنها ثلاث مرات فى هذا الأصحاح إنها « محرقة وقود ،

رائحة سرور للرب » (لا ١ : ٩، ١٣، ١٧) .

ولأنها كانت خاصة بالله وحده ، ما كان يأكل منها أحد ، لا الكاهن ، ولا اللاوى ، ولا مقدم الذبيحة ، ولا أصحاب مقدمها . إنما كانت تأكلها نار المذبح وحدها (التى تشير إلى العدل الإلهى) تظل النار تتقد فيها ، حتى تتحول إلى رماد . ثم يأخذ الكاهن هذا الرماد إلى خارج المحلة إلى مكان طاهر (لا ٦ : ٨-١٢) إشارة إلى أن حق الله قد استوفى ، وتمت المصالحة معه ، وأخذ ثمن الخطية : وسرّ من خضوع المحرقة حتى المنتهى .

هذا عن إرضاء قلب الله ، فماذا عن خلاص الإنسان ؟

كانت ذبيحة الخطية ، هى التى تحمل خطايا الإنسان وتموت بدلاً منه ، لكى يخلص . وكذلك ذبيحة الإثم .

إنهما ذبيحتان ، إحداهما عن الخطية الإرادية ، والأخرى عن الخطية التى فعلها الإنسان سهواً ثم أُعلم بها (لا ٤ ، ٥) .

كل من ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم ، كانت طاهرة و بلا عيب .

الذبيحة لم تكن خاطئة ، إنما كانت حاملة خطية .

كانت حاملة لخطية مقدمها ، الذى يضع يده عليها ، إشارة إلى أنها تنوب عنه ، وأن خطاياه تنتقل منه إلى رأس هذه الذبيحة ، فتموت عنه (لا ٤ : ٤ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣) .

وقد قال الكتاب عن هذه الذبيحة إنها قدس أقداس .

« فى المكان الذى تذبح فيه المحرقة ، تذبح ذبيحة الخطية أمام الرب . إنها قدس أقداس ... فى مكان مقدس تؤكل فى دار خيمة الإجتماع . كل من مس لحمها يتقدس ... إنها قدس أقداس » (لا ٦ : ٢٤-٢٩) . ونفس الكلام قيل عن ذبيحة الإثم (لا ٧ : ١ ، ٢ ، ٦) « إنها قدس أقداس » .

كل هذه كانت رموزاً فى العهد القديم . فما الذى حدث للسيد المسيح الذى كانت ترمز إليه هذه الذبائح والمحرقات ؟

فى يوم الجمعة الكبيرة ، كان الله الآب قد أعد مذبح المحرقة على جبل الجلجثة ...

وتقدم السيد المسيح ، وهو يحمل حطب المحرقة .

تقدم وارتفع على هذا المذبح بنفسه .

لم يرغمه أحد ، لكنه هو الذى قال :

أنا أضع نفسى عن الخراف .

ليس أحد يأخذها منى .

بل أضعها أنا من ذاتى .

لى سلطان أن أضعها ، ولى سلطان أن آخذها أيضاً (يو ١٠ : ١٥-١٨) .

تقدم السيد المسيح وصعد على مذبح المحرقة من ذاته . واتقدت فيه النار .

وأتت نيران كثيرة ، وأحاطت به .

نيران من أقطار قريبة و بعيدة .

ونيران من أجيال عديدة .

كلها كانت تخص خطايا الناس ، فى كل مكان ، وعلى مدى الأزمان . إنها نار العدل الإلهى الواقع على كل هذه الخطايا .

وظلت النار تتقد ، ثلاث ساعات كاملة .

من الساعة السادسة حتى التاسعة .

كانت النار تلتهم هذه المحرقة الإلهية .

وصعد دخانها إلى فوق . وتنسم الآب رائحة الرضا .

ولم يرفع يده عن المحرقة ، كما حدث مع إسحق .

لذلك صرخت المحرقة « إلهى إلهى ، لماذا تركتنى ؟ »

إنه ـ تبارك إسمه ـ لم يترك محرقة إبنه الوحيد لحظة واحدة ولا طرفة عين . إنما ترك نار العدل الإلهى تتقد فيها حتى النهاية لإرضاء الآب ومصالحته ... عن كل خطية .

وعن كل إثم ، وكل سهو .

لكل أحد ، فى كل مكان ، فى كل الازمان .

وقبل أن تتحول المحرقة إلى رماد ، قالت للآب : قد أكمل

« أيها الآب ... العمل الذى أعطيتنى لأعمل ، قد أكملته » (يو١٧ : ٤) .

وإذ استودعت روح السيد المسيح فى يدى الآب ، أخذ الآب رماد المحرقة ـ حسب الناموس ـ ووضعه فى مكان طاهر فى الفردوس أولاً ... ثم عن يمين الآب ...

وفى نفس الوقت .
وعلى نفس الجبل ، جبل الجلجثة .
قدم السيد المسيح ذاته كذبيحة خطية .
ليحمل خطايا العالم كله ، كما قال المعمدان (يو١ : ٢٩) .
وكما قال القديس يوحنا الحبيب (ايو٢ : ٢) .
سواء الخطايا المعاصرة لوقت الصلب ، أو خطايا الماضى منذ آدم ، أو خطايا المستقبل حتى آخر الدهور... لكل من يؤمن به و يتوب ...

لهذا ، فإن كل الراقدين على رجاء فى الجحيم ، مدوا أيديهم ووضعوها على رأس هذه الذبيحة ، لتنوب عنهم ، وقد قبلوها ذبيحة عن خطاياهم .
وكل الذين آمنوا بالسيد المسيح فى جميع الأجيال ، يضعون أيديهم أيضاً على هذه الذبيحة ، لتنوب عنهم . وهم يقبلونها لفدائهم .
ودم ذبيحة الخطية هذه ، رش مستديراً ، حول الكرة الأرضية ...
وعندئذ ، حدث أن الملاك الذى كان يحرس الطريق إلى شجرة الحياة ، بسيف من نار (تك٣ : ٢٤) ... هذا الملاك رأى الدم ، نازفاً من ذبيحة الخطية ، ليمحوا كل خطية ، فقال « عندما أرى الدم ، اعبر عنكم » (خر١٢) .
وأصبح طريق شجرة الحياة ، مفتوحاً أمام من يغلب .
وذلك كما قال الرب فيما بعد لملاك كنيسة أفسس (رؤ٢ : ٧) .

أما الكنيسة المقدسة ، فقد وقفت أمام هذه المحرقة الإلهية وذبيحة الخطية ، ترتل فى كل يوم من أيام البصخة قائلة :

المسيح مخلصنا ، جاء وتألم عنا ، لكى بآلامه يخلصنا .

نسألك أيها الصالح أن تصنع معنا رحمة كعظيم رحمتك ...

وإذ كان الناس يستهزئون بهذا المصلوب ، و يظنون فيه الضعف ، ظلت الكنيسة طوال أسبوع الآلام تغنى فى أذنى المسيح تسبحتها المعروفة « لك القوة والمجد والبركة والعزة يا عمانوئيل إلهنا وملكنا » .

وعندما كان الناس يسخرون به وهو مصلوب ، و يقولون له « إن كنت إبن الله ، إنزل من على الصليب وخلّص نفسك » ... كانت الكنيسة تنشد له لحن (أومونوجينيس) : « أيها الإبن الوحيد ، الكلمة الأزلى ، الذى لا يموت » .

ولما « أحصى بين أثمه » وهو على الصليب ، ظلت الكنيسة خلال الساعة السادسة والساعة التاسعة ، تغنى له باللحن الكبير (آجيوس) أى قدوس ... قدوس ... قدوس ...

إن حامل خطايا العالم كله .

ترتل له الكنيسة لحن الثلاثة تقديسات .

إن الكنيسة تعرف قداسته التى بلا حدود ... وتعرف أنه قد مات عنا ، من فرط حبه لنا .

كان لابد من ذبيحة بلا عيب ، لكى تحمل عيوب الناس جميعاً ...

كان لابد من إنسان بلا خطية ... إذا مات ، يكون موته عن خطايا غيره ، فيفديهم ... على أن يكون هذا الذى يموت غير محدود ، ليقدم كفارة

غير محدودة ، تكفى لجميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع الأجيال .

ولم يوجد إنسان بلا خطية ، ولم يوجد غير محدود بين جميع المخلوقات . فتجسد الرب لأجلنا ، وحمل خطايانا . ولما مات ، مات عن خطايانا نحن ، إذ ليست له خطية خاصة يموت عنها ...

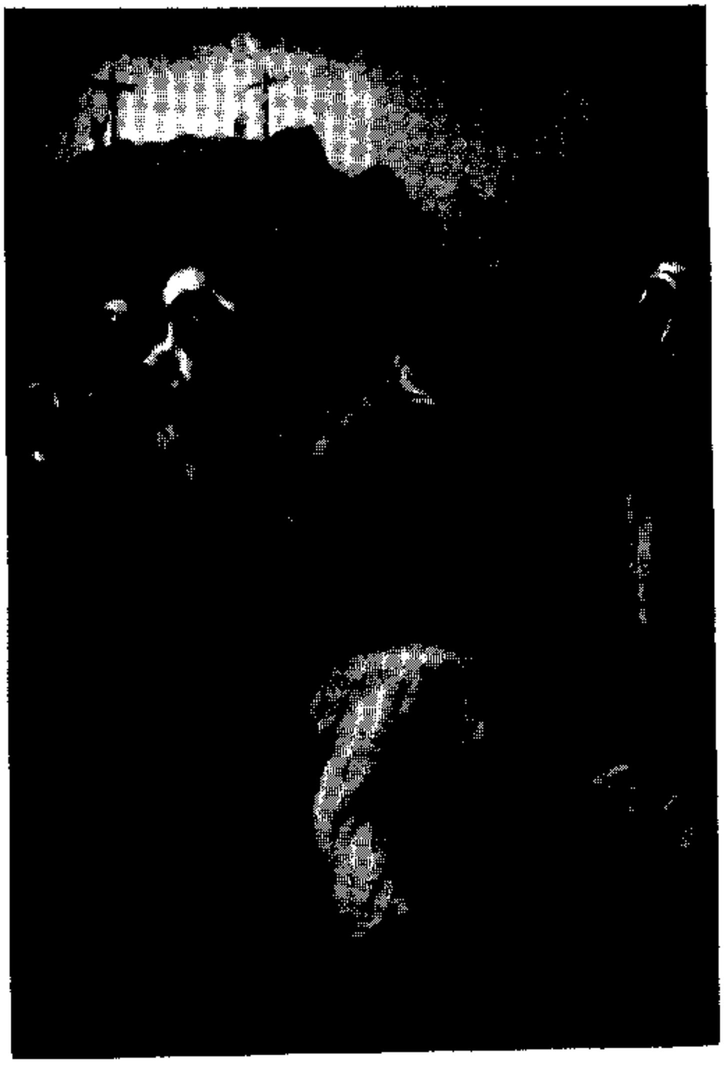

القمص بطرس السرياني

إنكار بطرس
وضعف الطبيعة البشرية

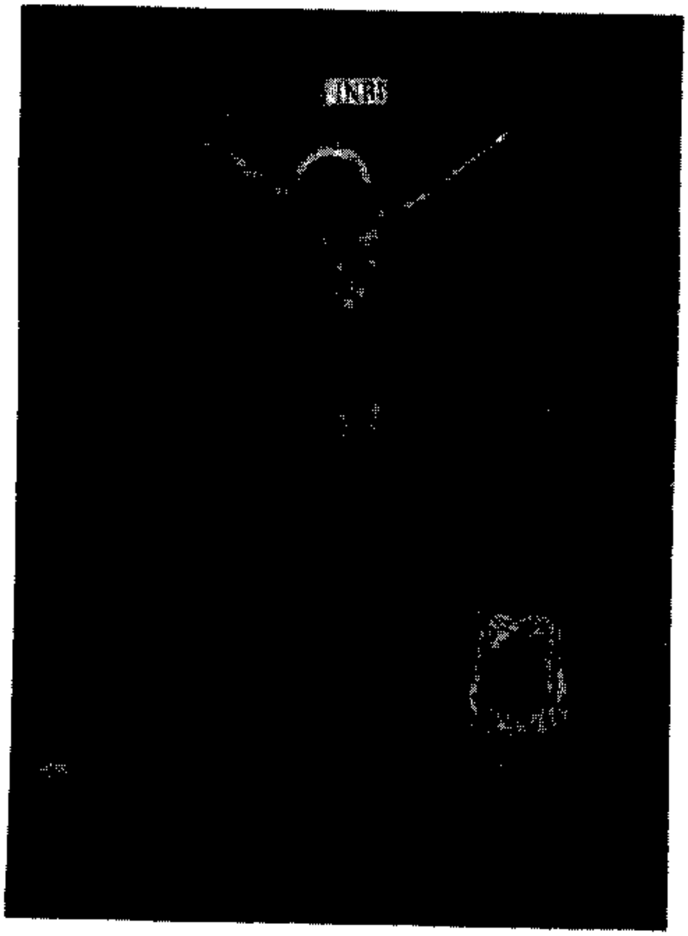

ألقيت هذه العظة بكنيسة العذراء مريم بجاردن ستى ، فى عشية الجمعة لكبيرة سنة ١٩٧٩ .

فى قراءات ليلة الجمعة من البصخة المقدسة ، تتضح لنا حقيقة بارزة وهى :

إن الله الذى خلق طبيعتنا البشرية ، يعرف ضعفاتها ...

بينما هذه الطبيعة البشرية التى لا تعرف ذاتها ... كثيراً ما تكون واثقة بقوتها ازيد مما يجب !!

الله الذى يعرف ضعف الطبيعة البشرية ، يعرف أن تلميذه المتحمس الغيور ، بطرس ، يمكن أن ينكره ثلاث مرات ، فى دقائق قليلة ، وأمام جارية وبعض الخدم ، وليس أمام رؤساء لهم خطورتهم ...

هكذا كانت الطبيعة البشرية أمام الرب . ولذلك قال لبطرس ينذره « هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة . ولكنى طلبت من أجلك لكيلا يفنى إيمانك » (لو٢٢ : ٣١، ٣٢) .

أما بطرس الواثق بنفسه أزيد من واقعها الضعيف ، فإنه رد على الرب فى ثقة بذاته قائلاً « إنى مستعد يارب أن أمضى معك حتى إلى السجن ، وإلى الموت » (لو٢٢ : ٣٣) .

كنت أظن أن معلمنا بطرس ، يجيب بغير هذا ... !

سامحونى يا اخوتى ، أنا لست أتدخل فى تصرفات القديسين . بل إنى لست مستحقاً للتراب الذى كان يدوسه القديس بطرس بقدميه . ولكنه مجرد رأى أعرضه :

مادام الرب قد قال « هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة » . وقال كنتجية لهذه الغربلة : « كلكم تشكون فىَّ فى هذه الليلة ، لأنه مكتوب إنى أضرب الرعى فتتبدد الرعية » (مر١٤ : ٢٧) (مت٢٦ : ٣١) .

مادم الرب قال « كلكم » « كلكم تشكون » ولم يستثن بطرس .

كان الواجب إذن ، أن يتضع هذا القديس ويطلب المعونة .

كان الأليق به ، أن يلق بذاته عند قدمى ربنا يسوع المسيح و يقول له : يارب قوّ ضعفى . أعطنى نعمة منك تسندنى فى هذا الضعف ، حتى لا أنكرك » .

كان يمكن أن يقول فى إتضاع .

أنا واثق أن نعمتك لو تخلت عنى ، ربما أنكرك سبع مرات وليس ثلاثاً فقط ، على الرغم من محبتى لك ...

أنا إنسان ضعيف ، إذا تصرفت بقوتى الخاصة ، سأشابه الهابطين فى الجب . ولن أنسى قولك من قبل « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو١٥ : ٥) .

ولكننى بك أستطيع كل شىء ... « استطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) .

ولكن بطرس لم يفعل هكذا !! ... كان واثقاً بنفسه . كان واثقاً بمحبته للرب و بقدرته على الثبات ...

بل كان واثقاً إنه أكثر من جميع التلاميذ ثباتاً !

فقال للرب مجادلاً « وإن شك فيك الجميع ، فأنا لا أشك أبداً » (مر١٤ : ٢٩) (مت ٢٦ : ٣٣) .

والعجيب إنه لما واجهه الرب بالحقيقة المرّة وقال له بالذات ، وليس ككلام عام « الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة ، قبل أن يصيح الديك مرتين ، تنكرنى ثلاث مرات » ... قال بطرس بأكثر تشديد « ولو أضطررت أن أموت معك ، لا انكرك » . « وهكذا قال الجميع » (مر١٤ : ٣٠، ٣١) (مت ٢٦ : ٣٤، ٣٥) .

إن النفس الجاهلة بحقيقة ذاتها ، ما أسهل أن تقول للرب مع بطرس « إنى أضع نفسى عنك » (يو١٣ : ٣٧) .

تقول ذلك فى ثقة . و يثبت الواقع عكس ما تقول !

هذه النفس الواثقة بذاتها ، ليتها تدرك قول القديس بولس الرسول « لست أفعل ما أر يده ، بل ما ابغضه أياه أفعل ! ... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا ، بل الخطية الساكنة فىَّ » (رو٧ : ١٥، ١٧) .

هناك نصائح تقدم لمثل هذه الحالة منها :

أن يعرف الإنسان ضعف الطبيعة البشر ية ، وقوة الشياطين وحيلهم .

لابد أن نضع أمامنا فى جهادنا الروحى إن عدونا الشيطان مثل أسد زائر ، يجول ملتمساً من يبتلعه هو (ابط ٥ : ١٨) .

وقد قيل إنه عندما يُحل الشيطان من قيده « لو لم يقصر الله تلك الأيام ، لم يخلص أحد » (مت ٢٤ : ٢٢) .

مادام الشياطين لهم هذه القوة والحيلة والخداع ، حتى أن الشيطان يمكن أن يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور (٢ كو١١ : ١٤) .

إذن النصيحة الأولى ، هي أن نتضع ، وننسحق فى داخلنا .

نتواضع تحت يد الله القوية ، وأمام ذاتنا فى الداخل . ولا تظن أن لنا قوة فوق مستوى الخطية ، وفوق مستوى الحروب الشيطانية . فالخطية طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء (أم٧ : ٢٦) . وبكل إتضاع ندرك أنه يمكن أن نخطىء .

وإلى جوار الإتضاع تلزمنا أيضاً الصلاة الدائمة .

وهكذا يلهج القلب باستمرار « يارب أعطنى نعمة . يارب أعطنى قوة . حافظ علىَّ . أنا أضعف من الخطية . اسندنى فأخلص » .

ومع الإتضاع والصلاة ، ينبغى أن يكون لنا الاحتراس الدائم .

أحياناً لا نحترس من بعض خطايا ، نظن أنها من خطايا المبتدئين ! أما أمثالنا الذين تدربوا على الروحيات ، وعاشوا زماناً فى الكنيسة ، ومارسوا وسائط النعمة ... فليس من المعقول أن يقعوا فى أمثال هذه الخطايا ... ! وبالتالى لا نحترس .

ونتيجة لعدم الاحتراس ، نسقط فى (خطايا المبتدئين) !

ربما ظن بطرس أنه من الاستحالة أن ينكر المسيح .

جائز فى إتضاع يظن أنه يمكن أن يسقط فى خطايا أخرى غير هذه . أما عن إنكار المسيح ، فهذا مستحيل ، مستحيل ... إنه لم ولن يصل إلى مثل هذا المستوى ...

هل يعقل أحد أن القديس بطرس يمكن أن ينكر !

بطرس الذى قال له الرب « طوباك يا سمعان بن يونا . إن لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات » (مت١٦ : ١٧ ، ١٩) . بطرس الذى أعطاه الرب مفاتيح الملكوت وسلطان الحل والربط ، كواحد من الإثنى عشر (مت١٨ : ١٨)... بطرس المعتبر أحد أعمدة الكنيسة بشهادة القديس بولس الرسول (غل٢ : ٩) .

بطرس الذى هو من كبار المتحمسين للرب السائرين وراءه ، بطرس المملوء غيرة ، الذى منذ لحظات أستل سيفه وضرب اذن عبد رئيس الكهنة . بطرس هذا ينكر المسيح ؟! ألا يبدو هذا مستحيلاً ؟ وأمراً لا يخطر على بال !

فإن كان بطرس هذا قد أنكر ، ألا نتضع نحن ؟!

ألا نقول : لسنا أقوى من الذين سقطوا . ونحترس .

وإن كان الله يسندنا فى بعض الأوقات فلا نسقط ، فليس هذا راجعاً إلى قوتنا الشخصية ، ومقاومتنا وصمودنا ...

فلنقل إذن مع المرتل فى المزمور « لولا أن الرب كان معنا ... لا بتلعونا ونحن أحياء ... مبارك الرب الذى لم يجعلنا فريسة لأسنانهم ... » (مز١٢٤) .

إذن فلنداوم على الإتضاع ، والصلاة ، والاحتراس .

ولا نحاول أن نقسم الخطايا ، إلى خطايا كبيرة تحتاج إلى صلاة واحتراس ، وخطايا أخرى نحن فوق مستوى السقوط فيها ، وهذه لا تحتاج إلى احتراس ولا إلى صلاة !

إن ربنا يسوع المسيح ، الذى يعرف ضعف طبيعتنا ، يعرف أن عبارة « لو أدى الأمر أن أموت معك » هى مجرد حماسة ظاهرية ، أو مجرد نية طيبة .

ولكن الإرادة فى الواقع ، ليست على مستوى الحماس والنية .

النية طيبة ، والحماس متقد . ولكن العزيمة لا تسندهما . والقلب ربما يهتز ، إن كان الاختبار شديداً يكشف ضعفه .

لاحظوا أن الرب قال لبطرس « طلبت من أجلك ، لكى لا يفنى إيمانك » (لو٢٢ : ٣٢) .

إلى هذه الدرجة يارب ، تقول لكيلا « يفنى » إيمانك ؟

قل مثلاً : لكيلا يضعف إيمانك ، أو لكيلا يهتز إيمانك ... أما عبارة (يفنى) فإنها صعبة وشديدة ، وبخاصة إذا قيلت لرسول عظيم كبطرس ...

نعم ، إنها كلمة صعبة ، ولكنها الواقع .

إنكارك يا بطرس كان أفضل النتائج ، وكان نتيجة للصلاة !

لولا الصلاة من أجلك ، ربما كان يفنى إيمانك ... ياللهول !

إن الحماس ليس هو كل شيء ، ولا الإندفاع ...

بطرس ربما كان أكثر الرسل حماساً . ولكن ...

فلنأخذ نحن درساً ، ونتضع ، ونحترس ، ونصلى :

أنا يارب تحت رجليك . لست أدّعى لنفسى قوة . أنا أضعف الضعف . أنا أضعف من أن أقاتل أصغرهم ، ولست كفؤاً لمقاتلة أحد . اسندنى فأخلص . وإن انتصرت فى يوم على خطية ، سأقول بكل تأكيد « يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتنى » (مز١١٧) « لولا أن الرب كان معنا ، لابتلعونا ونحن أحياء » .

النفس المتواضعة التى من هذا النوع ، هى التى يمكنها أن تجتاز التجربة بسلام . أما الواثقة بذاتها ، فلتسمع قول الكتاب :

قبل الكسر الكبرياء . وقبل السقوط تشامخ الروح (أم١٦ : ١٨) .

إن قوة الرب هى التى تحفظ ، وليس قوتنا . وهى تحفظ المتواضعين . لذلك حسناً قال الرب لله الآب « حين كنت معهم فى العالم ، كنت إحفظهم فى إسمك . الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد » (يو١٧ : ١٢) .

نعم ، أنت الذى حفظتهم ، وليست قوتهم أو تقواهم أو حرصهم . وليست حكمتهم ، أو إرادتهم وعزيمتهم ، أو مجرد محبتهم لك . فبطرس كان يحبك . ولكن هو حفظك لهم .

احفظنا يارب إذن كما حفظتهم .

أعطنا قوة كما أعطيتهم . وقدنا كما قدتهم فى موكب نصرتك (٢ كو٢ : ١٤) . إنك لما أمسكت بيد بطرس ، أمكنه أن يمشى على الماء معك . ولكنه بقوته الذاتية وحدها ، لا يستطيع أن يمشى . لقد جرب ذلك فسقط فى الماء ...

إن سرت يا أخى فوق الماء ولم تسقط ، فاعرف أن ذلك سببه أن الرب ممسك بيدك . لذلك احتفظ بهذه اليد معك ، واحترس أن تعتمد على ذاتك لئلا تسقط ...

إننا نريد هؤلاء المتواضعين ، الذين بدلاً من أن يعلنوا قوتهم وقدرتهم كبطرس ، يحولون ذلك إلى صلاة .

اعتماد بطرس على قوته ، كان له جانب شخصى وآخر مقارن .

فمن جهة اعتماده على شخصه ، أو اعتداده بشخصيته ، قال « إنى أضع نفسى عنك » . ومن جهة المقارنة قال « وإن شك فيك الجميع ، فأنا لا أشك أبداً » (مر١٤ : ٢٩) .

كأنه أكبر من الكل ، وأكثر منهم محبة ، وأقوى منهم فى مقاومته . والتواضع يعلمنا ألا نفضل أنفسنا على غيرنا .

لذلك سمح الوحى الإلهى ، أن يسجل إنكار بطرس وحده .

لقد قال الرب « كلكم تشكون » وقال « تتبدد الرعية » وقال عن الشيطان « يغربلكم » ... إذن هى لم تكن تجربة فردية لبطرس ، أو سقطة فردية . ولكنها للجميع . ولكن سقطة بطرس وحده هى التى سجلها

الوحي ، لأنه افتخر على باقي التلاميذ ، وظن أنه أكثر حباً للرب منهم . ولعله من أجل هذا عاتبه الرب بعد القيامة بقوله « يا سمعان بن يونا ، أتحبني أكثر من هؤلاء ؟ (يو ٢١ : ١٥) . ولاحظوا هنا أنه ناداه بإسمه القديم ، سمعان بن يونا ، وليس باسم بطرس الذي ناله في التطويب (مت ١٦ : ١٨) فليس الآن مجال تطويب . هنا عاد لشخصية الإنسان العتيق ، عاد صياد سمك وليس صياد الناس (لو ٢١ : ٣) . لم يعد كالصخرة ، لأنه إهتزّ أمام جارية . ولكن الرب أعاده إلى رتبته الرسولية بقوله له « إرع غنمي ... إرع خرافي » ، ولم يحاسبه بالإنذار الإلهي الذي يقوله « من ينكرني قدام الناس ، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات » (مت ١٠ : ٣٣) .

لقد سمح الرب بإنكار بطرس ، وبتسجيل الوحي لذلك ، لكي لا يفتخر بطرس على باقي التلاميذ فيما بعد ، كما سبق أن قال : إن شك الجميع ، فأنا لا أشك .

نلاحظ هنا أن الرب لما عاتب بطرس بقوله « أتحبني أكثر من هؤلاء » أجاب « أنت تعلم يارب إني احبك » . ولم يقل بعدها « أكثر من هؤلاء » . كان قد أخذ درساً ...

وبسبب هذا الدرس ، حينما حان موعد استشهاد القديس بطرس ، طلب أن يصلب منكس الرأس . وهكذا حدث .

لأن قلبه كان منكساً بالداخل ، قبل أن تتنكس رأسه .

وكأنه يقول للرب : أنا يارب خجلان منك ومن أخوتى ، خجلان من ثقتى السابقة بنفسى ، واعتدادى بقوتى ، وظنى أننى أفضل من أخوتى ، مما جعلنى أقول : لو شك الجميع ، أنا لا أشك ... أنا الآن انكس رأسى أمامك **وأمام الجميع وأقول أنا لا أستحق .**

وهكذا عندما شفى الله الرجل الأعرج عند باب الجميل ، على يدى بطرس . والتف حوله الناس معجبين ، قال لهم - ومعه يوحنا الحبيب « ... ما بالكم تتعجبون من هذا ؟ ولماذا تشخصون إلينا ، كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى ... » ثم حول أنظارهم إلى الرب يسوع وقال « وبالإيمان بإسمه ، شدد إسمه هذا ... وأعطاه هذه الصحة » (أع ٣ : ١٢-١٦) .

نعم ، لا بقوتنا ولا بتقوانا ... لقد جربتها قبلاً ... !

وظهر لى إنى فى الموازين إلى فوق ، يوم انكرت الرب .ليس لمجرد استخدام كلمات إتضاع ، قال بطرس ذلك يوم شفى الأعرج ، إنما قال هذا عن إقتناع داخلى ... لقد جربت قوتنا وتقوانا ، فلم انتفع شيئاً ... ليس سوى الرب « قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٧) .

لقد جرب معلمنا بطرس قوته وتقواه مرة أخرى ، حينما كان ربنا

يسوع المسيح يصارع من أجلنا فى بستان جثسيمانى .

وكان مع بطرس عمودان آخران من أعمدة الكنيسة هما يعقوب و يوحنا . ولم يستطع هؤلاء الأعمدة الثلاثة أن يسهروا مع الرب ساعة واحدة مع أنه طلب منهم ذلك ثلاث مرات .

« ووجدهم أيضاً نياماً ، إذ كانت أعينهم ثقيلة » (مر١٤ : ٤٠) .

« فلم يعلموا بماذا يجيبونه » ... وكان هذا الأمر عجباً ...

أعمدة الكنيسة الكبار ، ما استطاعوا أن يسهروا مع الرب ساعة واحدة ، فى أحرج الأوقات ، حينما كان يجاهد لأجلنا ، وقطرات عرقه تتساقط كقطرات دم ... وعاتب الرب بطرس قائلاً : « يا سمعان ، أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ؟! » (مر١٤ : ٣٧) .

أين إذن « قوتنا وتقوانا » ؟ وأين الحديث عن « الصخرة » ؟!

وإن كان هؤلاء الأعمدة عيونهم ثقيلة ، ألا نتضع نحن ؟

ألا نصرخ إلى الرب ونقول : أنت تعرف ضعف طبيعتنا ...

إنه يعرف بلا شك ، كما قال داود فى المزمور « لأنه يعرف جبلتنا . يذكر أننا تراب نحن » (مز١٠٣ : ١٤) .

ولأنه يعرف ضعفنا ، لا يوبخ كثيراً ، ولا يعاتب كثيراً .

يوبخ من ؟ و يعاتب من ؟ أيوبخ التراب والرماد ... المزدرى وغير الموجود . لذلك فإن داود النبى يقول له « لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك ، فإنه لا يتزكى قدامك أى حى » (مز١٤٣ : ٢) . و يقول له أيضاً « إن

كنت للآثام راصداً يارب ، يارب من يثبت ؟ لأن من عندك المغفرة » (مز١٣٠ : ٣) .

نعم لا يثبت أحد ، لأننا كلنا « فى الموازين إلى فوق » « كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه » (أش٥٣ : ٦) .

مسكين هذا الإنسان الذى يحاول أن يبرر ذاته ، و يقول « أنا ... أنا ... » . أنت من يا حبيبي ؟ كلنا خطاه ، فلا داع لكلمة أنا هذه . وإن حاكمنا الله ، سوف « يستد كل فم » ...

صدقونى ، لو أسلمنا الله إلى ضعفنا ، ما خلص منا أحد .

إن نعمة الله لا تزال تسندنا « لئلا يفنى إيماننا » .

وهكذا كان السيد المسيح : يقوى تلاميذه ، و يشجعهم ، ويحفظهم ، و يعطيهم نعمة ، و يبعدهم عن كل عثرة . لذلك فإنه فى إرساليته الأولى لهم ، قال لهم من أجل معرفته بضعفهم :

فى طريق أمم لا تمضوا ، ومدينة للسامريين لا تدخلوا .

لماذا ؟ لأنهم سيرفضونكم ، وربما لا تحتملون الرفض . لستم الآن فى مستوى هذه الخدمة الصعبة . إذهبوا الآن إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، ربما تكون خدمتهم أسهل ...

وقد جربهم الرب فى هذا الأمر ، فلم يصمدوا ...

ذهب إلى إحدى قرى السامرة ، فأغلقت أبوابها فى وجهه ولم تقبله فصاح التلميذان اللذان معه : أتشاء يارب أن تنزل نار من السماء فتفنيهم . (لو٩ : ٥٤) .

هل إلى هذه الدرجة ثرتم لكرامتكم الشخصية ، ولم تحتملوا . أن يغلق باب فى وجوهكم ! ألم تعلموا أن رسالة إبن الإنسان هى أن يخلص العالم ، وليس أن يهلك العالم .

والعجيب أن أحد هذين التلميذين كان يوحنا الحبيب ، المملوء حباً ، أو الذى صار مملوءاً حباً فيما بعد بمعاشرته للمسيح . أما وقتذاك فكان مع أخيه يلقبان بوانرجس أى إبنى الرعد ...

كان الرب يعرف ضعف طبيعتهم . وكان يعرف ضعف غيرتهم أيضاً . إنه يذكر أننا تراب نحن (مز١٠٣) .

وكان الرب خلال هذا الأسبوع يتعامل مع التراب ، التراب الذى دخلت المياه إلى نفسه ، فصار طيناً .

كان يصبر على أعدائه ، وعلى أصدقائه على السواء .

كان يحتمل ظلم الأشرار . وكان يحتمل ضعف الأبرار.
كان يحتمل تآمر أعدائه ، ويحتمل خوف ونكران أصدقائه .

كان يحتمل الكل ... فقد جاء لا يعاقبهم على أخطائهم ، إنما لكى يخلصهم منها . ولهذا دعى إسمه يسوع (مت ١ : ٢١) .

وجد تلاميذه فى ذلك الحين ضعفاء وخائفين . فلم يعاتبهم على ضعفهم وخوفهم ، إنما قال لهم : ستلبسون قوة من الأعالى . « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم . وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) ... حينئذ وليس الآن . أما الآن ، فماذا أقول ؟ ... ناموا الآن واستريحوا (مر١٤ : ٤١) .

أنتم الآن تعيشون بالخوف ... لست ألومكم على خوفكم .
ولكنكم ستنالون قوة من الروح القدس . وتتغيرون تماماً ...

وقتذاك سوف لا تخافون من رؤساء اليهود ، إنما ستقولون لهم : ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس (أع ٥ : ٢٩) .

عندما يحل الروح القدس عليكم ، سوف لا تخفون أنفسكم فى العلية ، وسوف لا تنكروننى ، إنما ستشهدون لى فى أورشليم وكل اليهودية والسامرة وأقصى الأرض . سوف لا تكونون أنتم المتكلمين بل روح أبيكم . وستقفون أمام ملوك وولاة لأجل إسمى .

فتراب ضعفكم الحالية ، سأحتملها ، بل سأنساها لكم .
إلى أن تتقووا ، فينساها العالم لكم . ويذكر قوتكم ...

بالقوة التى تنالوها من الروح القدس ، سوف تستطيعون آن تكرزوا وتُتلمذوا جميع الأمم . وسأكافئكم على أعمال هذه القوة التى ليست هى منكم ، لكنكم كنتم آنية حسنة تحملها .

أنظروا وافهموا جيداً ما سوف أعاملكم به ...

سأنسى الضعف الصادر منكم الآن . وسأكافئكم على عمل القوة التى ستنالونها متى حل الروح عليكم .

أخطاء ضعفكم الحالى سأنساها ، لا أعود أذكرها .
أما البر الذى ستعملونه بالروح ، فسيبق لكم إلى الأبد .

سأسجله لكم فى سفر الحياة . ولن أنسى أبداً تعب محبتكم ، ولا حتى كأس الماء البارد الذى تسقونه لفقير بإسمى .

هكذا قضى السيد المسيح هذا الأسبوع ، يجاهد وحده ...

يجوز المعصرة وحده ...

يحتمل ظلم الأشرار ، وضعف الأبرار .

يثبت أصدقاءه وأولاده وتلاميذه ، ويحتمل نكرانهم وخوفهم وهروبهم ... يحتمل كل هذا ، ولا يتخلى عنهم .

هنا ونسألك يارب ، بعد كل ما ظهر من ضعفاتهم :

هل على الرغم من ضعفهم ، سوف تستخدمهم فى ملكوتك ؟

لقد جربتهم ، ورأيت فيهم المنكر ، والشكاك ، والخائف ، والهارب ، والضعيف ... فهل يصلحون بعد ذلك لخدمتك ؟

نعم . هم أولادى . من جهه أخطائهم ، قد غفرت لهم . ومن جهة ضعفهم ، سأقويهم ... وماذا أيضاً ؟

سوف أطهرهم وأقدسهم وأبررهم وأعينهم ، وأكتب أسماءهم فى سفر الحياة ، وأسماء الذين يخلصون عن طريق كرازتهم .

حقاً يارب ، إنك طيب . ليس لك شبيه بين الآلهة .

القمص بطرس السرياني

نفوس مضيئة
فى جو مظلم

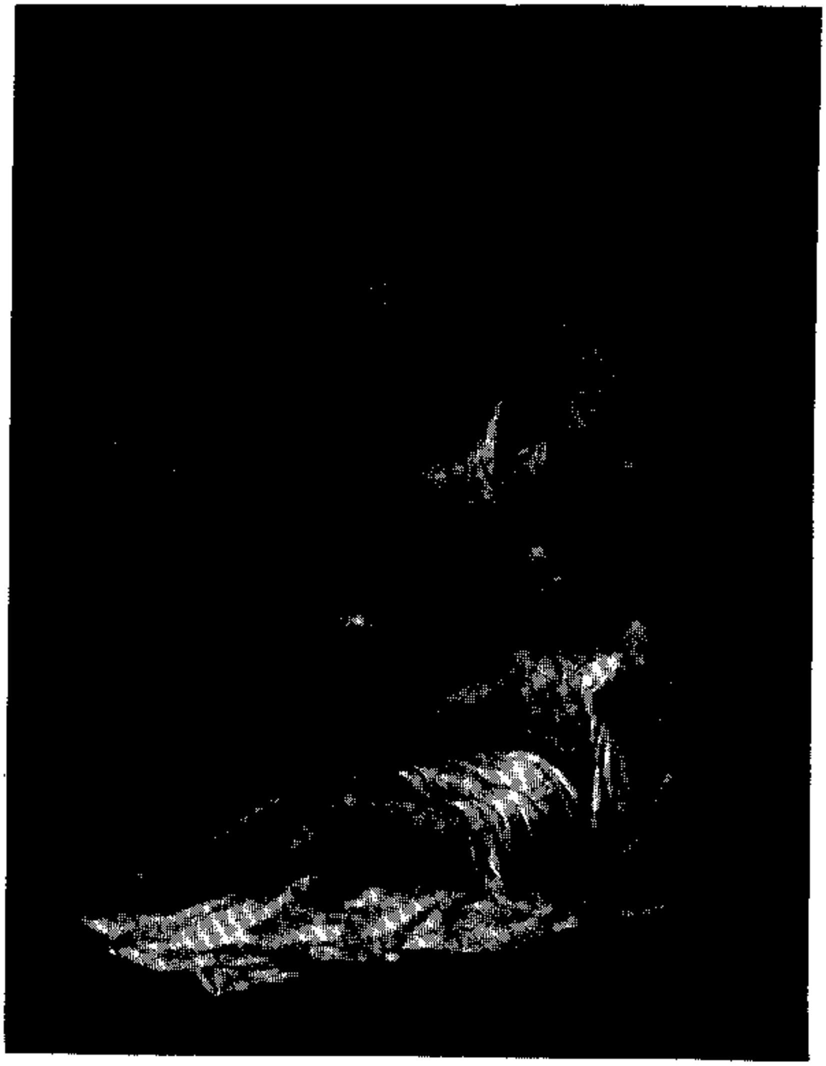

١ - جوّ بشرى مظلم

فى هـذا الـيـوم الخالد ، يوم الجمعة الكبيرة ، نقف وقفة تأمل هادئة ، لنرى أمامنا صورة عجيبة تجمع بين أمر ين هما :

محبة الله وخلاصه العظيم ... فى ناحية

وجحود البشر وخيانتهم للرب ... فى ناحية أخرى

كـان الله فى هـذا الـيـوم ، فى عـمـق حـبـه وحـنـانه ، وفى عمق جوده وإحـسـانـه ، يـقدم للبشر فداء إلهياً عجيباً ، مغفرة كاملة لكل ما صدر عن الـبـشـر يـة مـن خـطـيـة وإثم ونجـاسـة ، وصـفـحاً كاملاً عن كل تعدياتهم وعـصـيـانـهـم وتـمردهم ... حتى أنه قدم غفراناً لصالبيه ، ووعداً بالفردوس للص اليمين .

يـقابل هذا الحب قسوة من البشر بلغت أقصى حدودها ، وخيانة بشعة ما كان أحد ينتظرها ...

ومع أنـه كـان هـنـاك فـرح فى السماء ، بالخلاص العظيم الذى منحه الرب للبشر ، كانت هناك ـ فى نفس الوقت ـ ظلمة على الأرض كلها !

كان كل شىء يبدو قاتماً حقاً ...

الـوثنية كانت سائدة فى العالم كله . فماذا عن اليهود الذين أؤتمنوا على أقوال الله ، وعلى وعوده وعهوده . (رو٣ : ٢) ؟ وماذا عن المدينة المقدسة التى تـعـبـد الـرب ؟ ومـاذا عـن هـيـكـلها المقدس الذى تُقدم فيه الذبائح

والقرابين ، وتتلى فيه الصلوات والمزامير والتسابيح ؟ وماذا عن هذا الشعب الذى يفتخر اعضاؤه بأنهم أولاد إبراهيم « ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ، ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد » (رو٩ : ٤، ٥) ؟

للأسف ، كانت أورشليم طوال هذا الأسبوع مركزاً للتآمر والدسائس . وكان كهنتها ورؤساء الكهنة فيها يخططون لأبشع جريمة فى التاريخ .

كانوا يخططون لقتل الفادى العظيم الذى جاء لأجل خلاصهم ! وكانوا يبحثون عن تهم يلصقونها بذلك القدوس الكامل ، الذى بلا خطية وحده ، الذى قدم مثالية سامية لم يعرفها العالم من قبل ...

كانوا يصيحون ضد القلب الكبير الحانى ، الذى أحب الكل ، وأحسن إلى الكل ... باذلين كل قواهم للتخلص من المعلم الصالح الذى جمع الكل حوله .

حتى التآمر ، وشهادة الزور ، والحسد ، والقسوة ، كل ذلك كان قد زحف إلى الكهنوت اليهودى فى ذلك الأسبوع ...

وإذا بمجمع السنهدريم العظيم ، الذى يضم رؤساء الكهنة والشيوخ والقادة وأقدس شخصيات فى اليهودية ... إذا بهذا المجمع يجتمع ليلاً ضد الناموس ، و يبحث أعضاؤه عن شهود زور ليشهدوا ضد المسيح (مت٢٦ : ٦٠) ... فلم تتفق شهاداتهم وأقوالهم .

وأورشليم المدينة المقدسة ، مدينة الملك العظيم ، لم تعد فى تلك الفترة البشعة موضع مسرته ...

بل أنه بكى عليها وهو يقول « يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فلم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » . (مت٢٣ : ٣٧-٣٨) .

نعم ، لقد كان الهيكل المقدس فى ذلك الحين ، مركزاً للتآمر والدسائس ، وفقد قدسيته . وقد أراد الرب أن يطهره فى أحد الشعانين . ولكن قادة اليهود لم يريدوا .

ومن يوم الأحد بدأ التآمر ، وبدأت البشرية تُظهر بشاعها .

كان ذلك منذ أن صرخ الحسد الأسود فى قلوبهم قائلاً : « أنظروا ، إنكم لا تنفعون شيئاً . هوذا العالم كله ذهب وراءه » (يو١٢ : ١٩) .

وأمكن اغراء واحد من الإثنى عشر ، تلميذ من تلاميذ الرب للأسف الشديد ! وكان أحد البارزين ، إذ كان الصندوق فى يده ، أو كان فى قلبه . إنه واحد من الذين أختارهم الرب ليكونوا خاصته ! ولكن خان سيده ومعلمه ، وباعه بثلاثين من الفضة ، بثمن عبد . ولم يستح بعد ذلك من أن يجلس معه على المائدة ، و يغمس لقمته فى نفس صحفته ، ليتحقق فيه قول الكتاب « الذى أكل خبزى رفع علىَّ عقبه » (مز٤١ : ٩) .

وقوف أعداء الرب ضده ، ربما كان أمراً منتظراً لا يدهش أحداً . أما خيانة واحد من خاصته له ، فكان أمراً بشعاً .

وتزداد البشاعة أن هذا التلميذ يسلمه بقبلة !

لذلك تذكاراً لقبلة يهوذا ، واحتجاجاً عليها ، تمنع الكنيسة التقبيل من عشية الأربعاء (يوم التآمر) إلى نهاية أسبوع الآلام . وكذلك فإنه تذكاراً لهذا التآمر ، تصوم الكنيسة يوم الأربعاء من كل أسبوع ...

ما أبشع الصورة التي قدمتها لنا البشرية في هذا الأسبوع . ما أبشع معاملتها لمن أحبها وأتى لخلاصها !

ومن أمثلة هذا أن اليهود الذين كانوا يركزون كل آمالهم في التخلص من حكم الرومان ، والذين نادوا بالمسيح ملكاً يوم الأحد ، لكي يخلصهم من حكم قيصر ، عادوا في هذا الأسبوع يتملقون قيصر ، و يتهمون المسيح بأنه ضد قيصر (لو٢٣ : ٢) ، و يلجأون إلى بيلاطس الحاكم الروماني لكي يخلصهم من المسيح الرب و يقتله !

فلما قال لهم بيلاطس في تعجب « أ أقتل ملككم ؟! » ردوا عليه في هوان وصغر نفس ، قائلين « ليس لنا ملك إلاّ قيصر » (يو١٩ : ١٥) . كم كانت حينئذ مذلتهم ، وكم كان كذبهم ، في سبيل التخلص من المسيح مخلصهم ، الذي نادوا به ملكاً منذ أيام !!

بل ما أعجب رفضهم أن يكتب على صليبه عبارة « ملك اليهود » (يو١٩ : ٢١) مدافعين الآن عن قيصر الذي أذلهم ، وملتمسين رضا ذاك الذي خلط دمهم بذبائحهم . (لو١٣ : ١) .

إن يهوذا لم يكن هو الخائن الوحيد فى قصة الصلب .

ألم يكونوا خائنين أيضاً أولئك الذين صرخوا قائلين « اصلبه . اصلبه » « دمه علينا وعلى أولادنا » (مت ٢٧ : ٢٥) ، هؤلاء الذين شفى المسيح مرضاهم ، وأخرج من بعضهم شياطين ، وأطعم جياعهم ، وصنع معهم معجزات لم يصنعها أحد من قبل ... وأخيراً نسوا له كل إحساناته ، وفضلوا عليه لصاً قاتلاً هو باراباس ... ! (مت ٢٧ : ٢٠) .

ولم يكتفوا بالاتهامات والشكاية إلى الحكام ، إنما اشبعوه اهانات وسخرية وتهكماً ، ولطماً وضرباً و بصاقاً ... وكانوا يلطمونه قائلين « تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ (مت ٢٦ : ٦٨) .

كل هذا ، ضد المسيح الوديع الطيب ، الذى قال عنه الكتاب « لا يخاصم ولا يصيح ، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ٢٠ ، أش ٤٢ : ٣) .

حقاً كم كان ابشع البشرية يوم الجمعة الكبيرة .

هذا عن العامة وعن الأعداء . فماذا عن تلاميذه ؟

يكفى أنه تحقق فيهم قوله « تأتى ساعة ـ وقد أتت الآن ـ تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته ، وتتركوننى وحدى » (يو ١٦ : ٣٢) .

من كان يظن أن الأحد عشر القديسين يتركونه أيضاً وحده ! ولكن هذا هو الذى حدث فى بستان جثسيمانى ، فى أشد أوقاته صراعاً عنا . تركه أعمدة تلاميذه ، أعنى الثلاثة الكبار ، بطرس و يعقوب و يوحنا ، هؤلاء الذين قال لهم : « امكثوا ههنا واسهروا معى » (متى ٢٦ : ٣٨) .

فناموا وتركوه . ومع انه عاتبهم اكثر من مرة قائلاً : « أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة » ، إلاّ أنه حتى في تلك الساعة الحرجة ، « كانت أعينهم ثقيلة » (مت ٢٦ : ٤٣) .

وعندما قبض عليه ، نقرأ في الإنجيل عبارة مؤلمة هي :

« حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (مت ٢٦ : ٥٦) .

ومع أن هذا كان موقف البشرية - في أعلى قممها - من السيد المسيح ، إلاّ أنه لم يغضب بسبب أن تلاميذه تركوه وهربوا ، بل أنه هو أيضاً أراد لهم أن يمضوا حفظاً على سلامتهم ، لكي لا يصيبهم ضرر وقتذاك بسببه . فليفعل به الأعداء ما يشاءون ، أما تلاميذه فليظلوا سالمين . وهكذا قال للجند الذين أتوا للقبض عليه : أنا هو. فإن كنتم تطلبونني ، دعوا هؤلاء يذهبون . ليتم القول الذي قاله إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحد (يو١٨ : ٨، ٩) .

وعندما وقف المسيح للمحاكمة ، لم يقف معه أحد .

لم يدافع عنه أحد ، وهو الذي دافع عن أشر الخطاة ... لم يوجد شجاع واحد يقول فيه كلمة حق . ولم يوجد شجاع واحد يحتج على شهادات الزور... وقبل السيد المسيح هذا الظلم ، ولم يدافع عن نفسه . وفي فه نبوءة أشعياء النبي عنه « قد دست المعصرة وحدي ، ومن الشعوب لم يكن معي أحد » (أش ٦٣ : ٣) .

والمؤلم أن تلاميذه لم يتركوه فحسب ، بل قال عنهم : كلكم تشكون فيَّ ، في هذه الليلة . (مر ١٤ : ٣٧) .

ما أقسى على القلب المحب ، أن يشك فيه محبوه ، ومحبوه كلهم ، وأن يجرح فى بيت أحبائه (زك ١٣ : ٦) .

بل ما أقسى أن ينكره أحباؤه ! من يستطيع أن يحتمل مثل هذا . ولكن السيد المسيح أحتمل أن ينكره بطرس ثلاث مرات فى ليلة واحدة ، أمام جارية ، و يسب و يلعن ويجدف و يقول لا أعرف الرجل » (مت ٢٦ : ٧٠-٧٤) .

إلى هذا الحد المؤلم ، وصلت البشرية يوم الجمعة الكبيرة .

الأعداء تآمروا وأسلموه للموت . والأحباء خافوا وتركوه وهربوا .

ووقف المسيح وحده ، يحتمل خيانة الأردياء ، ويحتمل ضعف الأحباء ، و يشفق على هؤلاء وأولئك . و يقول لله الآب « يا أبتاه أغفرلهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » .

كان السيد المسيح هو النور الوحيد وسط هذه الظلمة البشرية . وقد قال للمتآمرين عليه :

« هذه ساعتكم ، وسلطان الظلام » (لو٢٢ : ٥٣) .

وكان الظلام يعمل بكل قوته . و بدأت النعمة تعمل .

٢ ـ النعمة تعمل :

حقاً كانت الصورة قاتمة ، يسيطر عليها سلطان الظلام . ولكن على الرغم من كل هذا ظهرت نتائج واضحة لعمل النعمة فى الناس . وكما قال الرسول :

« حيث كثرت الخطية ، أزدادت النعمة جداً » (رو٥ : ٢٠) .

وهكذا وجدنا أضواء تظهر فى هذا اليوم . بعضها كان مضيئاً حقاً ، واستمر كنور مضيء وسط الظلمة . والبعض أضاء قليلاً ثم خبا واستسلم لسلطان الظلام . والبعض أضاء ثم أخفاه الظلام ثم رجع لضيائه مرة أخرى ، واستمر نوراً وتوهج ...

أما هذا النوع الأخير ، فيمثله القديس بطرس الرسول .

كان هذا القديس فى منتهى الحماس ، عملت فيه النعمة بقوة فى هذا اليوم . وقد تبع السيد المسيح حتى بعد القبض عليه . وظهر حماسه فى أنه استل سيفه دفاعاً عن معلمه ، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ...

حقاً أنها وسيلة خاطئة ، وقد وبخه الرب عليها قائلاً له : رد سيفك إلى غمده . لأن من أخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ (مت ٢٦ : ٥٢) ولكن على الرغم من كل هذا ، كانت الغيرة المقدسة موجودة ، والشجاعة أيضاً كانت موجودة ، وكذلك الاخلاص والوفاء .

ولكن هذا كله لم يستمر. وسرعان ما ضعف بطرس ، وجرفه الخوف ، وأنكر ثلاث مرات أنه يعرف المسيح . وسب ولعن وجدف ! ولو أن النعمة عادت وعملت فيه ، فندم و بكى بكاء مراً . و بالتوبة أضاء ، ثم توهج فيا بعد ، بعد حلول الروح القدس .

ومن الذين عملت فيهم النعمة ، ثم جرفهم التيار : بيلاطس .

لا شك أن النعمة كانت تعمل أيضاً فى بيلاطس البنطى . ولا شك أنه استجاب لها فى بادىء الأمر . كان هناك صوت قوى فى دخله يحذره ، كى لا يقع فى خطأ ...

ولعل النعمة عملت أيضاً فى إمرأة بيلاطس عن طريق أحد الأحلام . وهكذا أرسلت إلى زوجها تقول له « إياك وذلك البار ، لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » (مت٢٧ : ١٩) .

ومن دلائل عمل النعمة فى بيلاطس أنه قال عن السيد المسيح ثلاث مرات « لا أجد علة فى هذا الإنسان » (لو٢٣) . و يقول الكتاب فى هذا « ودعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، وقال لهم : قد قدمتم إلىَّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ، ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه ، ولا هيرودس أيضاً ، لأنى أرسلتكم إليه . وها لا شيء يستحق الموت صنع منه . فأنا أؤدبه وأطلقه » (لو٢٣ : ١٣-١٦) (لو٢٣ : ٤) « وقال لهم ثالثة ، فأى شر عمل هذا . إنى لم أجد فيه علة للموت » . وكان يريد أن يطلق يسوع بدلاً من باراباس . (لو٢٣ : ٢٠) (يو١٨ : ٣٩) .

وقد شهد بيلاطس عن الرب يسوع أنه بار .

ولكن خوف بيلاطس على وظيفته ، غلب عليه ، وكذلك رغبته فى مجاملة اليهود . فلم يستمر فى إستجابته للنعمة . والنور الذى ظهر منه ، عاد فخبا ، واستسلم لسلطان الظلام . وهكذا اسلمهم الرب يسوع ليُصلب . وفى محاولة يائسة لإرضاء ضميره ، أو لإسكات ضميره ، غسل يديه بماء وقال « إنى برىء من دم هذا البار » (مت ٢٧ : ٢٤) .

وقد تذكر القديس بطرس الرسول محاولة بيلاطس لإطلاق المسيح ، فقال لليهود بعد معجزة شفاء الأعرج « ... يسوع الذى أسلمتموه . أنتم ، وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه . ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار ، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل » (أع ٣ : ١٣ ، ١٤) .

عمل النعمة فى بيلاطس جعله يقتنع ببر الرب و براءته ، و يرغب فى اطلاقه . ولكن بيلاطس لم يستجب طو يلاً لعمل النعمة .

إن عمل النعمة فى إنسان ، لا يرغمه على فعل الخير. إنما ينبغى أن يستجيب لعمل النعمة ، و يستمر فى الإستجابة .

ومثال بيلاطس واضح جداً . استطاعت النعمة أن تقود بيلاطس حينما كان مستجيباً لها . ولكنه لما فضل أن يستجيب لرغباته الخاصة ، تركته النعمة إلى حر ية إرادته ، ولم ترغمه على الخير . لأن نعمة الارشاد ، لا تلغى نعمة الحر ية .

مثال آخر لعمل النعمة ، فى يهوذا الاسخر يوطى ...

حتى يهوذا الخائن ، لم تتركه النعمة ، وظلت تعمل فيه ، وأتت بنتائج عجيبة جداً . فشعر يهوذا بأنه قد أخطأ ، و و بخه ضميره ، وأراد أن يصحح ما يستطيعه من أخطائه ، فذهب إلى رؤساء الكهنة والشيوخ ، وأرجع إليهم الثلاثين من الفضة ، واعترف أمامهم بأنه قد أخطأ ، فقال « أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً . وطرح الفضة فى الهيكل وإنصرف (مت٢٧ : ٣-٥) .

إلى هنا ، كانت النعمة ناجحة فى عملها ، وكان يهوذا مستجيباً لها .

ولكن نلاحظ أن يهوذا لم يتحرك ضميره إلا أخيراً ...

بعد أن « أوثقوا المسيح ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطى » ، بعد هذا يقول الإنجيل « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ، ندم ... » (مت ٢٧ : ١-٣) .

« لما رأى أنه قد دين » وانتهى الأمر ... حينئذ ندم !

لقد احتمل ضميره الخائن أن يسلم المسيح . ولكن نتائج خيانته كان فوق الإحتمال ، فاستجاب لتوبيخ النعمة ، وندم ...

ولكن الشيطان إنتهز فرصة الندم الشديد الذى اشتعل فى ضمير يهوذا . وجعل شدة الندم تتحول إلى يأس ، فمضى يهوذا وشنق نفسه . والنور الذى أضاءت به النعمة ، قضى عليه سلطان الظلام ...

٣ ـ نفوس كانت مضيئة ...

على الرغم مما ظهر يوم الجمعة الكبيرة من خيانة وتآمر فى جانب ، وضعف وخوف وإنكار فى جانب آخر . وعلى الرغم مما ظهرت به البشرية فى قسوتها التى سيطر عليها سلطان الظلام ، إلا أنه كانت توجد فى هذا اليوم نفوس مضيئة ، نذكرها بكل فخر فى هذا اليوم ونحييها .

نحيى أولاً أولئك الذين وقفوا إلى جوار الصليب مع السيد المسيح ، وثبتوا معه إلى آخر لحظة فى قصة الصلب .

١ ـ نحيى القديسة العذراء مريم .
٢ ـ وأختها مريم زوجة كلوبا .
٣ ـ والقديس يوحنا الحبيب .
٤ ـ والقديسة مريم المجدلية .

هؤلاء الذين رافقوا المسيح حتى الصليب ، ولم يتخلوا عنه فى أحرج أوقاته . لا خافوا من بيلاطس ، ولا من هيرودس ، ولا من حنان وقيافا ، ولا من الجند ، ولا من كل القوى الثائرة وجمهور الشعب الصاخب الذى قال أصلبه أصلبه ...

يقول الإنجيل المقدس « وكانت واقفات عند صليب يسوع : أمه ، أخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية » (يو١٩ : ٢٥) .

وقفت هؤلاء النسوة القديسات معه إلى جوار صليبه ، وليحدث ما يحدث . وقفن معه في ألمه وضيقه وصلبه ... ليس في وقت صنعه المعجزات ، إنما في وقت ظن فيه الرومان واليهود أنه قد هزم ، وأنه في ضعف ، وأنه لم يستطع أن يخلّص نفسه ، وأن المجتمع اليهودى قد استطاع أخيراً أن يتخلص منه ... !

وقف هؤلاء النسوة القديسات معه ، بكل القلب وكل الحب ، ومعهن يوحنا الحبيب ، في أثناء تعيير الناس له ، واستهزائهم به واعتدائهم عليه ، وفي أثناء تسميره على الصلب . وكن معه في كل آلامه ... قلوباً مخلصة محبة إلى جواره ... لم يزعزع إخلاصها زوال مجده ، أو ما يظنه اليهود من زوال مجده .

إن حبه هو الذى يربطهم به ، وليس المجد ...

٥ - وبالمثل نحيي باقى النسوة القديسات ...

٦ - مع الجموع التى تبعته من بعيد ...

أولئك الذين قيل عنهم في الإنجيل « وتبعه جمهور كثير من الشعب ، والنساء اللواتى كن يلطمن أيضاً و ينحن عليه » (لو٢٣ : ٢٧) وأيضاً « وكان جميع معارفه ، ونساء كن قد تبعنه من الجليل ، واقفين من بعيد ينظرون ذلك » (لو٢٣ : ٤٩) . وقد قال القديس متى الإنجيلى عن هؤلاء النسوة « وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد ، وهن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه . و بينهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب و يوسى ،

وأم ابني زبدى » (مت٢٧ ، ٥٥ ، ٥٦) . وقد ذكرهن أيضاً مرقس الرسول (مر١٥ : ٤٠ ، ٤١) .

نحيي كل هؤلاء النسوة فيما أظهرنه من حب ومن إخلاص ، وفى كل خطوة خطونها وهن يتبعن المسيح .

ونحيي أيضاً النسوة اللائى أخذن الأطياب وذهبن إلى قبره . وهن يعرفن أنه مغضوب عليه من رؤساء الكهنة ومن الشيوخ ومن الكتبة والفريسيين ،ومحكوم عليه من الدولة ... وبطرس نفسه خاف وأنكر أمام جارية .

أما هؤلاء النسوة فأظهرن مشاعر الحب من نحوه فى أحلك الأوقات ، وليكن ما يكون . إن الحب إن كان عميقاً ، لا يبالى بالخوف . وقد ظهر وفاء هؤلاء النسوة للسيد المسيح فى الوقت الذى تخلى فيه الجميع عنه . تحية لكل واحدة منهن ...

٧ ـ نحيي أيضاً القديس يوسف الرامى :

هذا الذى ـ فى ذلك الوقت العصيب ـ « تجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب منه جسد يسوع » (مر١٥ : ٤٣) ... وأخذه « أنزله ، ولفه بكتان نقى » « ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ، ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر» (مت٢٧ : ٥٧ـ ٦٠) (لو٢٣ : ٥٢، ٥٣) .

موقف يوسف الرامى كانت فيه شهامة ورجولة ...

ما أكثر الذين ساروا وراء المسيح فى مجده ، ولكننا فى ألمه لم نبصر أحداً منهم فكأنهم كانوا يتبعون المجد وليس الشخص . أما يوسف الرامى ، فذهب إلى بيلاطس الوالى الرومانى ، ليطلب منه جسد إنسان حكم عليه بيلاطس ، وأسلمه للموت ، وصلبه اليهود خارج المحلة لئلا ينجس المحلة !! وكان رؤساء الكهنة يتتبعون أنصار هذا المصلوب ليفتكوا بهم ، حتى هرب التلاميذ واختفوا .

أما يوسف فلم يهرب ، ولم يختف . وإنما « تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع » . هذا النبل يهز النفس من الداخل .

وبهذه المناسبة ، نذكر كلمات جميلة قالتها الأناجيل عن يوسف الرامى . قال عنه القديس لوقا الإنجيلى « وإذا رجل إسمه يوسف ، وكان مشيراً ورجلاً صالحاً و باراً . هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم . وهو من الرامة مدينة لليهود . وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله » (لو٢٣ : ٥٠ ، ٥١) ، وقال عنه مرقس الرسول أنه كان مشيراً شريفاً منتظراً ملكوت الله (مر١٥ : ٤٣) . وقال عنه القديس متى الإنجيلى « ولما كان المساء ، جاء رجل غنى من الرامة إسمه يوسف . وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع » (مت٢٧ : ٥٧) ... هنا ظهر تلاميذ يسوع الحقيقيون ، الذين فى قلوبهم حب ، وشجاعة . والذين لم يهزهم الخوف فى وقت هز فيه الكثيرين ... والعجيب أن الأناجيل لم تكن قد ذكرت إسم يوسف الرامي من قبل . لكنه ظهر فى الوقت المناسب ليعمل عملاً لم يجرؤ عليه أحد .

٨ ـ نحيي في هذا اليوم أيضاً نيقوديموس :

نيقوديموس الفريسي وعضو مجمع السنهدريم الأعلى ، هذا أيضاً جاء واشترك مع يوسف الرامي في تكفين جسد المسيح . و يقول في ذلك القديس يوحنا الإنجيلي « وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً ، وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة مناً . فأخذا جسد يسوع ، ولفاه بأكفان مع الأطياب » ودفناه (لو١٩ : ٣٩-٤٢) .

كان في موقفه خطورة ، لأنه عضو في مجمع السنهدريم الذي حكم على المسيح ظلماً ، وهو لم يكن موافقاً لهم .

ولكن لسان حال نيقوديموس يقول : سأعلن تبعيتي للمسيح ، حتى وهو ميت في نظر الناس ومصلوب ومحكوم عليه وقد أحصى مع الأثمة . أنا لا أتخلى عنه في هذا الوقت ، بل أعلن تبعيتي له ، متحملاً كل نتائج هذا العمل .

حقاً إنها نفوس كريمة نبيلة ، أضاءت في هذا اليوم ...

لو أن المسيح جاء الآن بيننا وأقام ميتاً ، لكنا نرى الآلاف تصرخ وتقول كلنا أتباع المسيح . أما أن يكون المسيح مصلوباً كأثيم ، وقد مات ثم يأتي واحد من الرؤساء و يقول أنا من أتباعه ، و يأخذ جسده و يكفنه ، فهنا النبل والرجولة والحب .

وهذا ما فعله يوسف الرامي ونيقوديموس والنسوة . نحيي هذه النفوس المضيئة في هذا اليوم ، ونحيي معها :

٩ - سـمعان القـيروانى :

هذا الذى لما وقع المسيح تحت ثقل الصليب فى يوم الجمعة الكبيرة ، جاء سمعان القيروانى هذا وحمل الصليب عنه . فاشترك مع المسيح فى حمل الصليب (لو٢٣ : ٢٦) .

المسيح الذى يقول « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم » ، لما كان فى تعب بالجسد ، سمح لهذا القديس أن يأتى و يريحه ... و يدخل فى « شركة آلامه » . هنا و يصمت القلم . لا يجسر أن يقول أكثر...

نحيى فى هذا اليوم أيضاً ، رجلاً أمياً هو :

١٠ - قائد المـائة (القديس لونجينوس) :

هذا الرجل الذى وهو مرتبط بالعسكرية وأحكامها ، وهو إنسان له صفة رسمية فى الدولة ، ومكلف من الوالى الرومانى بحراسة هذا المحكوم عليه بالإعدام والمنفذ فيه الحكم ... شهد هذا القائد عن المسيح أمام الجميع ومجد الله قائلاً « بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً » (لو٢٣ : ٤٧) . وقال أيضاً « حقاً كان هذا إبن الله » (مت٢٧ : ٥٤ ، مر١٥ : ٣٩) .

وقد آمن هذا القائد فيما بعد ، وصار شهيداً . والكنيسة تذكره فى السنكسار فى يومين هما :

أ - ٢٣ أبيب : عيد إستشهاده (قطع رأسه) .

ب - ٥ هاتور : عيد ظهور رأسة المقدسة .

القمص بطرس السرياني

تحية لهذا القائد القديس ، كنفس مضيئة أنارتها النعمة فى هذا اليوم ، وتحية لشهادته عن السيد المسيح .

إننا نحييه إلى جوار الصليب ، ونحيي معه على صليب :

١١ - اللص اليمين :

إنه قديس آخر بين القديسين ، يكفيه أن الرب قد قال له « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو٢٣ : ٤٣) .

هذا اللص كان يعيِّر السيد المسيح مع زميله ، كما ذكر القديسان متى ومرقس (مت٢٧ : ٤٤ ، مر١٥ : ٣٢) .

ثم عملت النعمة ، و بدأ قلبه يتغيَّر وهو على الصليب . فلما رأى زميله يجدف على المسيح « إنتهره قائلاً : أولا تخاف أنت من الله ، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينيه . أما نحن فبعدل (جوز ينا) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » (لو٢٣: ٣٩-٤١) .

ولم يكتف بهذا أذ ، اعترف بخطاياه و باستحقاقه للموت ، مو بخاً لزميله ، ومدافعاً عن السيد المسيح ، إنما اعترف أيضاً بالسيد المسيح ر باً وملكاً وقادراً على أن يخلصه ، فقال له « أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » (لو٢٣ : ٤٢) . وهكذا آمن واستحق الخلاص . ومات مع المسيح ، فاعتبر موته هذا معمودية له .

نحييه فى هذا اليوم الذى أنكر فيه التلميذ ، واعترف هذا اللص . نحييه لاستجابته لعمل النعمة وإيمانه ، على الرغم من رؤ يته للمسيح فى

آلامه مصلوباً معه ومعيَّراً من الجميع ...

إن الكنيسة تلقب هذا القديس باللص الطوباوى ، وتحييه فى طقس الجمعة الكبيرة بمديح طويل ولحن (أمانة اللص اليمين) .

إنه من النفوس المضيئة فى هذا اليوم ، والمضيئة فى الفردوس ، على الرغم من أن لقب (لص) سيظل يتبعه وهو فى جماعة القديسين فى فردوس النعيم . ولكنه لص استطاع أن يسرق الفردوس فى آخر لحظات حياته ...

١٢ - نحيي أيضاً فى هذا اليوم ، جماعة من غير البشر :

نحيى من الطبيعة الشمس التى اظلمت ، الأرض التى تزلزلت ، والقبور التى تشققت ، وحجاب الهيكل الذى انشق .

إن الطبيعة التى أظهرت عدم رضاها على ظلم الأشرار ، حيت المسيح بالأسلوب الذى يناسبها ... وكانت نقطاً مضيئة فى هذا اليوم . وربما بسببها آمن قائد المائة ، كما آمن اللص اليمين ، وآمن فيما بعد القديس **ديونيسيوس الأريوباغى** (أع١٧ : ٣٤) .

لقد انطبق على الطبيعة فى هذا اليوم ، قوله السيد المسيح « **إن سكت هؤلاء ، فالحجارة تصرخ** » (لو١٩ : ٤٠) .

كل هذه أضواء فى يوم الجمعة الكبيرة ، ولكن :

النور الأعظم الحقيق ، كان هو نور المسيح وفدائه ...

كـان يـشـع مـنه نور الحب ، ونور البذل والفداء ، أكثر من الشمس . كـان مشرقاً فى هذا اليوم بطريقة قضى فيها على سلطان الظلمة . وبالموت داس الموت .

وكما أشـرق هـنـا بـالحب ، أشرق أيضاً على الراقدين فى الجحيم ، على رجاء . فنقلهم إلى الفردوس ...

وأشـرق أيـضـاً كـنـور أمام الله الآب ، أعطى به أجمل صورة للإنسانية الـكـامـلـة ، غـطى بها على أخطاء البشرية كلها ، وكان محرقة وقود رائحة سرور للرب ...

ونحـن نـقـف أمـامـه فى إشـراقـه العجيب ، وهو مسمر على الصليب ، ونقول له تسبحتنا المستمرة :

لك القوة والمجد والعزة والبركة إلى الأبد آمين
يا عمانوئيل ملكنا وإلهنا ...

من ألحان . باراباس

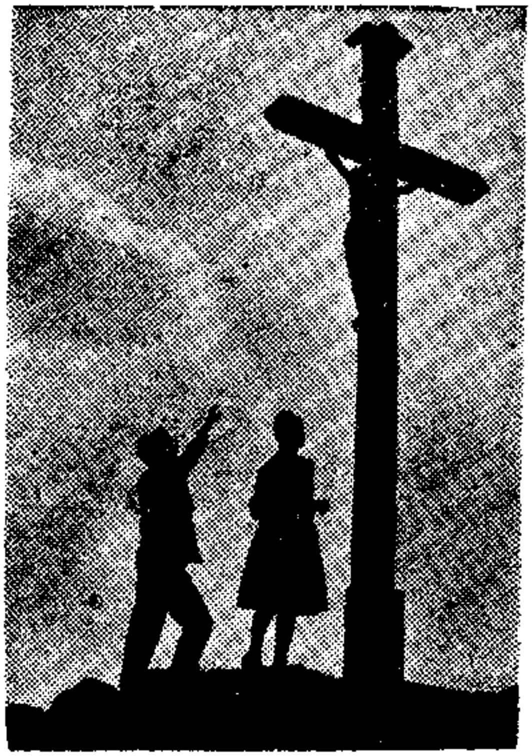

أنت لم تنصت الى الحية بل　　أخطأت أمى وأصغت لنداها
أنت لم تقطف من الجنة بل　　قطفت أمى حراما من جناها
أنت قـدوس طهـور بينما　　أنا من شرد فى الشر وتاها
أنت عـال فى سـماء انما　　أنا ابن الأرض أصلى من ثراها
أنت رب والـه وأنـا　　عبدك الآثم من يعصى الالها
فلماذا أنت مصـلوب هنـا　　وأنا الخـاطىء حـر أتباهى
حـكمة يا رب لا أدركهـا　　وحنان قد تسامى وتناهى

عجبا يا رب ماذا قد جرى   وعــلام كرههم فيك عــلاما
عشت يا مولاى جينا بينهم   تنزع البغضاء منهم والخصاما
كنت يا قدوس قلبا مشفقا   فملأت الكون حبــا وسلاما
كنت رجــلا لكسيح ويــدا   لأشــل وأبا بين اليتــامى
قد أقمت الميت والأعمى رأى   والطريح المقعد اشتد وقاما
فلماذا قــامت الدنيــا عــلى   شخصك الحانى وزادت فى أذاها
ولمــاذا أنت مصــلوب هنا   وأنا الخــاطىء حــر أتبــاهى
حــكمة يــا رب لا أدركها   وحنان قد تســامى وتناهى

أنا أولى منــك بالصلب أنا   صاحب العار الذى لوث نفسه
أنا من ضيع ويحى يومــه   فى ضلال مثلما ضيع أمسه
أنا من يسعى الى الموت وفى   نشوة أو سكرة يحفر رمسه
أنا ظمآن تولى مسرعــا   يرتجى الحية أن تملأ كأسه
أيها المصلوب يامن قد رأى   كل من فى العالم الناكر قدسه
كلما طافت بك العين انزوت   نفسى الخجلى يغطيها بــكاها
فلمــاذا أنت مصــلوب هنا   وأنا الخــاطىء حــر أتبــاهى
حــكمة يــا رب لا أدركها   وحنان قد تســامى وتناهى

+ + +

المســـيح ملكـــاً ...

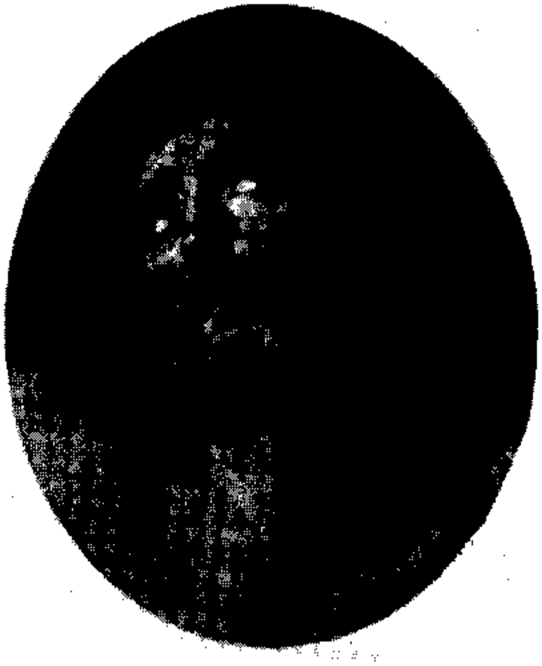

يظن البعض أن أصلح صورة للسيد المسيح كملك ، هي صورته وهو داخل أورشليم ، والناس حوله بسعف النخل وأغصان الزيتون ، يهتفون : أوصنا يا ابن داود ...

ولكنني أرى أن أصلح صورة للمسيح كملك ، هي صورته وهو مصلوب . ينطبق عليها قول الوحي في المزمور:

« الرب ملك على خشبة » (مز ٩٥) .

ذلك لأنه على الصليب ، إشترانا بدمه (رؤ ٥ : ٩) فصرنا ملكاً له .

وهكذا ملك الرب على العالم الذي اشتراه .

وهكذا بدأت مملكة روحية للرب ...

ونحن ننظر إلى هذا الملك الذي اشترانا ، ونغني له في يوم الجمعة الكبيرة لحن (بيك اثرونوس) أي « عرشك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب الإستقامة هو قضيب ملكك » . نقول له : تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . استله وانجح واملك » (مز ٤٤) .

كيف ملك الرب على خشبة ؟ وما قصة هذا الملك ؟ ...

الرب يملكنا منذ البدء ، لأنه خلقنا وأوجدنا من العدم . ولكننا بالخطية انفصلنا عن ملكوت الله ، و بالخطية ملك الموت علينا (رو ٥ : ١٧، ١٤) . إذ صرنا تحت حكمه . والسيد المسيح على الصليب ، بالموت داس الموت ، وخلصنا من حكم الموت ، و وهبنا الحياة ، فصرنا له .

بـمـلـك الخـطية والموت ، كان الشيطان أيضاً يملك . ولذلك تلقَّب فى الإنجيل أكثر من مرة بأنه « رئيس هذا العالم » (يو١٢ : ٣١) . أى العالم الذى تحت الخطية والموت ...

وبالـصـلـيـب ، استطاع المسيح أن يقضى على مملكة الشيطان ، وكذلك بالصليب داس الموت ، ودفع ثمن الخطية ...

وإذا بالرب يقول عن الشيطان « رئيس هذا العالم قد دين » (يو١٦ : ١٤) . و يـقول عنه أيضاً « رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء » (لـو١٠ : ١٨) ... إن الـسـيد المسيح قد هزم الشيطان فى كل تجاربه وكل حروبه ، ولكنه بالصليب قضى على ملكه .

كـل ما اقتناه الشيطان خلال آلاف السنين ، أفقده المسيح إياه على الصليب ، لما افتدى الناس من خطاياهم .

لذلك فإن الشيطان يخاف الصليب الذى يذكره بهزيمته .

ولهذا كان لعلامة الصليب سلطان على الشيطان ...

على الصليب تم الفداء الذى ضيع مملكة الشيطان .

والـشيطان يعلم أن الفداء يضيع مملكته ، إن كان هذا الفادى هو إبن الله الذى يقدم كفارة غير محدودة ، تكفى لغفران جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع العصور .

لذلك صرخ الشيطان ـ على أفواه تابعيه ـ بعبارته المشهورة :

« إن كنت إبن الله ، إنزل من على الصليب »

(مت ٢٧ : ٤٠ ، مر ١٥ : ٣٠)

إنزل من على الصليب ، لكى لا يتم الفداء ، ولكى لا تتأسس المملكة الروحية وتضيع مملكة الشيطان ...

وسكت المسيح . لأنها عبارة لا تستحق الرد .

فهو ، لأنه إبن الله ، صعد على الصليب ، وملك .

اللص على الصليب ، إعترف بملكوت المسيح ...

فقال « أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » . ولعله كان يقصد الملكوت الآتى ، الذى يأتى فيه المسيح على السحاب ، لكى يجمع مختاريه ويأخذهم إلى مملكته السمائية .

ولكن السيد المسيح نبه اللص إلى موضوع هام ، وهو أنه سوف لا ينتظر حتى يأتى المسيح فى ملكوته السمائى الأبدى ، فهناك مملكة قد تأسست (اليوم) على الصليب .

وبدلاً من عبارة (متى جئت) قال له (اليوم) تكون معى ، أبشر ، فاليوم قد بدأت مملكة المسيح ، أيها اللص الطوباوى .

وقد تقلد سيفه على فخذه ، وقيد الشيطان ألف سنة . وسقط الشيطان مثل البرق من السماء .

المسيح على الصليب أكثر جمالاً وجلالاً من كل أصحاب التيجان ، نغنى له ونقول (فى آخر مزامير الساعة السادسة الخاصة بصلبه » : الرب قد

ملك ولبس الجلال (مز١٩٢) .

أمـا المملكة التى أرادها له اليهود يوم أحد الشعانين ، فقد رفضها الرب وقـال « مملـكتى ليست من هذا العالم » (يو١٨ : ٣٦) . إنه على الصليب أسس مملكته الروحية .

وحـينما نـقول له « قضيب استقامة هو قضيب ملكك » نقصد أنه ملك بكل استقامة ، بكل عدل ، بدفع ثمن الخطية و وفاء العدل الإلهى تماماً . مبارك الرب فى ملكه .

القمص بطرس السرياني

حول آلام المسيح

الرب الذى لا تتفق طبيعته الإلهية مع الألم ، أخذ له طبيعة بشرية مثلنا ، قابلة للألم . وتألم عنا ، لكى يعرف عنا الآلام .

هذا المتواضع الوديع ، أسلم ذاته للمتكبرين ، فتعجرف عليه هؤلاء القساة... بذل ظهره للجالدين ، وخده للناتفين (أش ٥٠ : ٦) . خداه لم يمنعهما عن اللطم ، ولم يرد وجهه عن خزى البصاق !

وتحمل كل ذلك من التراب والرماد ، من الإنسان الضعيف الذى لو تخلت عنه رحمة الله لحظة لفنى وضاع ...

وجهت إليه إتهامات باطلة ، ولكنه لم يدافع عن نفسه .

ولو دافع ، لأمكنه أن يدحض كل تهمة و يتبرأ . ولكن بذلك ندان نحن . ففضل أن يحمل الدينونة عنا ، و يصير هو مذنباً لكى نتبرر نحن . ويحكم عليه بالموت ، لكى يحكم لنا بالحياة ...

لم يدافع عن نفسه ، لأنه تجسد لكى يبذل نفسه ، ولكى يوفى للعدل الإلهى حقه عن خطايانا .

وخطايانا ما كانت تحتاج إلى دفاع ، بل تحتاج إلى فداء .

تحتاج إلى ذبيحة تموت عنها ، إلى كفارة ، إلى نفس بارة تموت عن نفس آثمة . نفس تؤخذ عوضاً عن نفس .

الدفاع الوحيد الذى يدافع به ، هو أن يقدم ثمن الخطية .

أى أن يقدم دمه الطاهر ليسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا . فيتنسم الآب من ذبيحته رائحة الرضا ، و يقول للبشر : لما أرى الدم أعبر عنكم » (خر١٢ : ١٣) .

دفاع المسيح ليس هودفاعاً عن نفسه ، إنما هو دفاع عنا . وهو دفاع ليس بالكلام ولا باللسان ، إنما هو بالعمل والحق ، بإرضاء العدل الإلهى ... بالموت عنا ...

وفى بستان جثسيمانى ، إستعد المسيح ليحمل خطايا العالم كله . ووقفت أمامه كل خطايا البشر ، فى كل الدهور ، بكل ما فيها من بشاعة ونجاسة ... كانت كأساً مملوءاً بالمرارة . وقال الرب :

نفسى حزينة جداً حتى الموت (مت ٢٦ : ٣٨) .

كان حزيناً على البشرية التى وصلت إلى هذا المستوى الحقير ، وفقدت الصورة الإلهية التى خلقت على شبهها ومثالها .

عجيب أن الرب الذى هو مصدر كل تعزية وفرح ، يقول « نفسى حزينة حتى الموت » ... ذلك لأنه كان أمامه كل الصور البشعة لخطايا الناس ، الظاهرة والخفية ، مع كل صور أفكارهم الداخلية ومشاعر قلوبهم ، وما يتصورون ارتكابه من خطايا ...

كيف ينحنى القدوس ، ليحمل كل هذه النجاسة ؟!

يا أبتاه ، إن شئت أن تعبر عنى هذه الكأس ، وإلا فلتكن مشيئتك ... (مت٢٦ : ٤٢) . قد يستنكف بار من النظر إلى صورة خطية نجسة ، فكم

بالأولى القدوس الكلى القداسة وهو ينظر إلى كل النجاسات مجتمعة ، ثم يحملها كأثيم ، نيابة عن جميع فاعليها ، ليموت عنها ... و يقف ليحتمل كل غضب الآب وكل قصاصه ...

يا إخوتى ، لا تظنوا أن آلام المسيح ، كانت هى آلام الجسد فقط ، إنما هناك أيضاً آلام النفس والروح ...

آلام الجسد كانت تتمثل فى الجلد والشوك والمسامير والصلب ، وأيضاً فى الضرب واللطم وحمل الصليب والوقوع تحته ، ومشقة الطريق ، والعطش الشديد وما إلى ذلك .

ولكن كانت هناك آلام أخرى ، من نوع آخر ، عبَّر عنها بقوله « نفسى حزينة جداً حتى الموت » ... آلام الحزن على البشرية الساقطة ، والآلام التى صادفها من خيانة الناس وغدرهم وقسوتهم ، وآلامه من جهة هذا الشعب المخدوع ، الذى يهتف فى جهل أصلبه أصلبه ... حقاً إنهم لا يدرون ماذا يفعلون . وهناك أيضاً آلام المسيح من جهة تلاميذه الذين ملكهم الخوف والشك فهربوا واختبأوا ، وترصد بها رؤساء اليهود ليفتكوا بهم ...

كل هذا والسيد الرب فى البستان ، وهو « عالم بأن ساعته قد جاءت » (يو١٣ : ١) ، « وهو عالم بكل ما يأتى عليه » (يو١٨ : ٤) ، وهو يصارع حتى صارت قطرات عرقه كقطرات دم .

ومع ذلك فقد داس المعصرة وحده (أش ٦٣ : ٣) .

حتى تلاميذه ، تركوه فى هذه الساعة الحرجة ، ولم يستطيعوا أن يسهروا معه ساعة واحدة ، على الرغم من طلبه ذلك منهم ثلاث مرات ، وقوله لهم « إسهروا وصلوا لئلا تقعوا فى تجربة » (مت ٢٦ : ٤١) .

إنى أريدكم أن تسهروا من أجل أنفسكم ، وليس من أجلى .

إسهروا ، لا لكى تسندونى فى وقت ضيقتى ، وإنما اسهروا لأجل أنفسكم لكى لا تقعوا فى تجربة ، لأن عدوى قد اقترب ، والظلمة زاحفة بكل سلطانها ، والشيطان مزمع أن يغربلكم . والمقصود ليس فقط أن يضرب الراعى ، إنما المقصود أيضاً أن تتبدد الرعية .

إسهر يا بطرس قبل أن يصيح الديك . إسهر مع الرب ، وصارع فى الصلاة أيضاً ، لكى تدخل إلى التجربة وأنت محصن .

ربما يا بطرس لو كنت سهرت ، ما كنت أنكرت ... !

ولكن « العين الثقيلة » لا تبصر التجربة المقبلة ولا تستعد لها . هل الشخص الذى يقول لمعلمه « أضع نفسى عنك » « ولو أدى الأمر أن أموت معك » . هل مع هذا الكلام ، لا يستطيع أن يسهر معه ، ولا ساعة واحدة !

إن كنت لا تستطيع أن تسهر معه ، فكيف يمكنك أن تموت معه ؟! إنتبه إذن إلى نفسك واستعد ...

ما أقسى التجربة حينما تأتى لأناس ، فتجدهم نياماً ، وأعينهم ثقيلة ! لهذا كان الرب متألماً لأجل تلاميذه ...

ومع ذلك إن كنتم لا تستطيعون ، ناموا الآن واستريحوا .
أنا الذى سوف أسهر عنكم .
فأنا لا أنعس ولا أنام مثلكم ، لأنى ساهر على خلاصكم .

كان السيد المسيح يحمل آلام جسده ، وآلام نفسه ، وآلام الناس ، وآلام خطايا البشر كلها .

ولعل الخطية كانت أثقل ما حمله المسيح لأجلنا .

فالذى بلا خطية وحده « حسب خطية لأجلنا » « ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا » (أش٥٣) .

ولعله بسبب هذه الخطايا ، عبر عن أعظم ألم مر به بقوله للآب « لماذا تركتنى » ... أى تركه للعدل يحتمل كل قصاصه الواقع على البشر منذ آدم .

إن كانت التوبة سبب فرح للسماء ، فماذا عن الخطية ؟

يقول الكتاب إنه يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب . إذن على القياس يكون حزن على من يسقط . فكم وكم كان حزن المسيح إذن لا بسبب سقطة إنسان ، إنما بسبب كل سقطة لكل إنسان ... بما يحمل ذلك من ملايين الملايين للصورة الكئيبة التى وقفت أمام الرب ، ليحملها و ينوب فيها عن الكل .

ومن النجاسات التى حملها الرب ، خطايانا نحن الخاصة ...

إن كل خطية ، لكل واحد منا ، كانت قطرة مرارة فى الكأس المر

الذى كان لا بد للرب أن يشربه ...

ولولا أن الرب قد حمل خطايانا هذه ليمحوها بدمه ، ما كان يمكن أن تغفر لنا ... إذن فنحن قد آلمنا الرب وكنا جزءاً من آلامه يوم الجمعة الكبيرة .

لهذا فى كل خطية نرتكبها ، ليس غريباً أن نقول له :

لك وحدك . والشر قدامك صنعت .

إن كنا قد آلمناك يارب ، فلا تسمح أن نتسبب فى ألمك مرة أخرى . ولا تسمح أن نضيف إلى كأسك قطرات مرة أخرى . إنضح علينا بزوفاك فنطهر . واغسلنا فنبيض أكثر من الثلج .

وليكن فرحك بخلاصنا ، أكثر من ألمك بسبب خطايانا .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٢٨٦٥

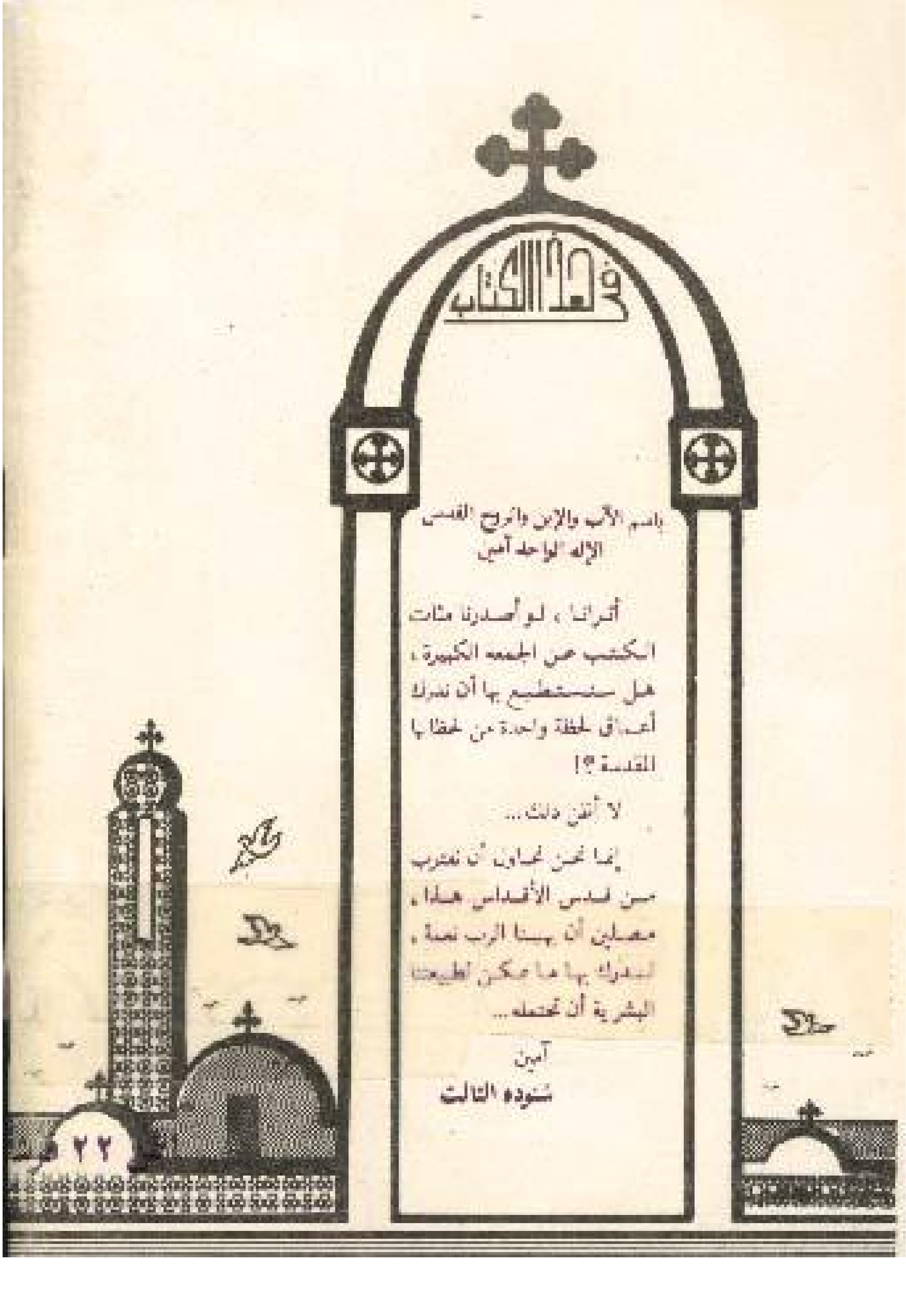

في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

أترانا، لو أصدرنا مئات الكتب عن الجمعة الكبيرة، هل سنستطيع بها أن ندرك أعماق لحظة واحدة من لحظاتها المقدسة؟!

لا أظن ذلك...

إنما نحن نحاول أن نقترب من قدس الأقداس هنا، مصلين أن يهبنا الرب نعمة، لندرك بها ما يمكن لطبيعتنا البشرية أن تحتمله...

آمين

شنوده الثالث

٢٢